الحياة بعيون النبي ﷺ

اسـم الكتـاب: الحيـاة بعيـون النبـي ﷺ

التأليـف: د. السـيد نجـم

نـوع العمـل: دينـي

إخـراج فنـي: سـالم عبـد المعـز سـواح

رقـم الإيـداع: 22783 / 2022

الترقيـم الـدولي: 978-977-835-322-8

الناشـر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

٤ ش بديع خيري متفرع من ش عبد الحميد بدوي خلف كنتاكي نادي الشمس مصر الجديدة - مصر.

دار زحمة كتاب للنشر Facebook

Email za7ma.kotab@gmail.com

Tel 002 01205100596

002 01100662595

الحياة

بعيون النبي ﷺ

تأليف

د. السيد نجم

إهداء

إليك سيدي يا رسول اللّه أهدي أشواقي

إليك حبيبي وقرة عيني من كلّ أعماقي

يا مَن اهتدى بهديك السائرون... واقتفى أثرك المحبون...

وسار على دربك المهتدون

يا من إذا مشيت يسبقك النور... وإذا ابتسمت أخجلت البدور...

وإذا ركعت أو سجدت قلت: "أمتي يا غفور".

اسمح لي حبيبي وقرة عيني أن أتجولَ في بستان سيرتك، وأن أعيشَ في رحاب سنتك، وأن أقطفَ زهرةً من بستان محبتك، رغم خجلي وتواضع قلمي، لكنه الاشتياق إلى بريق حديثك، وشحذ الهمم بجميل صفاتك، وبث الأمل بعاطر سيرتك.

إليك يا رسول اللّه أهدي هذا العمل راجيًا من اللّه ﷻ أن يرزقني حبك، وحب من يحبك لأنك الذي علمتَ الدنيا الحب.

كما أرجو ﷻ أن يرزقنا شفاعته والسقيا من حوضه، والفوز بمجاورته، والسعد بالنظر إلى نور وجهه.

مُقَدِّمَة

قصة هذا الكتاب تعود إلى مطالعاتي في كثيرٍ من كتب التفسير المعتمدة، حيث لمستُ بركة هذه التفاسير كما لمست فيها هذا الحب الكبير لرسول الله - ﷺ- لا سيما في بعض مواضع القرآن التي تتكلم عن شرف وقدر رسول الله - ﷺ- فإنه يكاد قلبك أن يطير وأنت تقرأ تفسير سور الضحى والشرح والكوثر من تفسير الإمام الآلوسي.

كما لا تستطيع أن تخفي وقع عينيك وأنت تقرأ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] من تفسير الإمام الرازي.

وإنك لتعجب أشد العجب من قوة العبارة وبلاغة الكلمة وفرط الحب حينما تقرأ تفسير سورة الكوثر من الكشاف للزمخشري.

وإذا رمت ذلك كله مع تدقيق وتحقيق وبريق فإنك لن تعدم ذلك كله من تفسير التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور.

ثم ولِّ وجهك تجاه تفسير الإمام القرطبي المالكي، والإمام القشيري الشافعي، ومحي السنة "أبو محمد بن مسعود الفراء البغوي".

ستجد بغيتك أيها المحب، وسينشرح صدرك أيها العاشق لرسول الله - ﷺ-.

والهدف من هذه الوقفات كلها أن نعيش مع رسول الله - ﷺ- في إبراز نذر يسير من حياته وأخلاقه، ثم هي دعوة لنمثل القدوة المثلى التي ينبغي للمسلم أن يتبعها، ويسير على خطاها، فهو ﷺ جميل الصفات، مشرق المحيا، قريب من القلوب، حبيب إلى الأرواح.

«حياة رسولنا ﷺ هي الصفحة البيضاء في هذا العالم، وهي الشجرة الخضراء في الكون، وهي النهر العذب الزلال في صحراء الحياة»

هنـــا ضـــياء هنـــا ريٌّ هنـــا أمـــل * هنـــا رواء هنـــا الرضـــوان فاســـتلم
هنـــا جـــلال هنـــا طهـــر هنـــا ألـــق * هنـــا جمـــال هنـــا فـــيض مـــن الشـــيم
هنـــا القداســـة منصـــوب بيارقهـــا * هنـــا الشـــموخ فـــلا تيـــأس ولا تلـــم
أثنـى علـى مـن؟ أتـدري مـن أبجلـه * أمـــا علمـــت بمـــن أهديتـــه كلمـــي
في أشـجع النـاس قلبًـا غيـر منـتقم * وأصـــدق الخلـــق طـــرا غيـــر مـــتهم
أبهي مـن البـدر في ليـل التمـام هـدى * أسـخى مـن البحـر بـل أرسـى مـن العلـم
أصـغى مـن الشـمس في نطـق وموعظـة * أمضـى مـن السـيف في حُكـم وفي حِكـم
بنـــور هـــديك كحّلنـــا محاصِـــرنا * لمـــا كتبنـــا حروفًـــا صـــغتها بـــدم
صـلى عليـك إلـه الكـون مـا سـجعت * ورقـــاء أو هتـــف القمـــري بـــالنغم
صـــلاة حـــب محـــب مغـــرم كلِـــفٍ * يرجـو شـفاعة خيـر الرسـل كلهـم[1]

[1] من قصيدة للدكتور عائض القرني – ملهم العالم ص ٧١٣ بتصرف.

بين (سراجاً منيراً) و (قمراً منيراً)

حينما تكلم ربنا جل شأنه عن الشمس في أكثر من سورة من القرآن الكريم وصفها بالسراج الوهاج، قال تعالى

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ ﴾ [النبأ: ١٣].

والسراج الوهاج، أي جعل الشمس مضيئة منيرة بحرارة، فالوهج يجمع بين النور والحرارة [٢].

كما نجد أن الحق - سبحانه وتعالى- وصف القمر بأنه القمر المنير، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الفرقان: ٦١]:

أي مضيئا بلا حرارة.

٢ تفسير البغوي معالم التنزيل (١ \ ١٣٧٦) ط: مكتبة ابن جزم ٢٠١٤ م.

كما قال تعالى في موضع آخر:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ ﴾ [نوح: ١٥-١٦]

هذه شمس العالم المادي وقمره، وها هو الله قد أرانا شمس العالم الروحي في نوره (أي قرآنه) ووصف لنا محمدًا - ﷺ - بأنه (سراج منير).

سبحانك ربي: أخذت من وصف الشمس لفظ السراج، وأخذت من وصف القمر لفظ المنير، وجمعتهما لرسول الله - ﷺ- فالرسول عليه الصلاة والسلام مضيء بلا حرارة تحرق، ومنير كالقمر بل أجمل من القمر، يقول سيدنا جابر بن سمرة ﷺ: رأيت رسول الله في ليلة إضحيان «أي ليلة صافية مضيئة» وعليه حُلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر، حديثه صحيح.

فإذا كان للشمس شأنٌ في النظام الشمسي، لأنها هي مركز الدائرة التي تدور حولها جميع الأجرام الموجودة في هذا النظام، كما أن لهذا العالم المادي حاجة كبيرة للشمس، فإن لضوء حرارتها تأثيرًا بالغًا على وجود كل شيء ونموه، فإن لرسول الله - ﷺ- مدارًا أعظم، تدور حوله نجوم سماء النبوة، فإن الشمس تبدد ظلام الليل، وكذا السراج المنير ﷺ قد بدد ظلمات الكفر والشرك.

إن ضوء الشمس يسود النجوم ويواربها، وكذا شريعة السراج المنير ﷺ قد سادت جميع الشرائع، إن ضوء الشمس يحول دون ارتكاب الجرائم، وكذا نور السراج المنير ﷺ فقد بدد بأشعته في وقت واحد ظلمات الجاهلية وغياهب الجهل وسواد الكفر والشرك، وحلكة العادات والتقاليد الزائفة، وعتمة التقليد الأعمى، وملأ القلوب بنور الإيمان، وأفعمها بلمعات العقيدة السليمة، وأنار الأبصار بمطالعة الكتاب المبين، وأزال الشك المظلم بالأدلة الساطعة، وأباد الظنون الحالكة بالبراهين القاطعة، واستطاع كل إنسان من

خلال هذا النور أن يعرف حقيقة الأشياء ويدرك به كوامن النفس، والذين كانوا قد نسوا حقيقة الإنسانية أصبحوا الآن هداة على الطريق.

إن الخفافيش لا تبصر إلا في الظلام، وكذا شأن الأشقياء، الذين لا يطيقون الأنوار المحمدية ولا يستنيرون بالرسالة النبوية، أما المؤمنون الصادقون فإنهم يضحون بأرواحهم في سبيل هذا السراج الرباني[٣]

٣ رحمة للعالمين: للقاضي محمد سليمان المنصور فورى – (ص ٥٥٧) بتصرف – ط دار السلام للنشر والتوزيع – السعودية .

سيدي يا رسول اللهِ:

مــدحوك مــا بلغــوا بــرغم ولائهــم ... أســـوار مجـــدك فالـــدنو لمـــام

ودنـــوت مـــذهولًا.. أســـيرًا لا أرى ... حيـــران يلجـــم شـــعري الاحجـــام

وتمزقـــت نفســـي كطفـــل حـــائر ... قـــد عاقـــة عمـــن يجـــب زحـــام

حتـــى وقفـــت أمـــام قـــبرك باكيًـــا ... فتـــدفق الإحســـاس والإلهـــام

وتوالــت الصــور المضــيئة كــالرؤى ... وطـــوى الفـــؤاد ســـكينة وســـلام

يــا مــلء روحــي وهــج حبــك في دمــي ... قـــبس يضـــيء ســـريرتي وزمـــام

أنــت الحبيــب وأنــت مــن أروى لنــا ... حتـــى أضـــاء قلوبنـــا الإســـلام

حوربــت لــم تخضــع ولــم تخشَ العــدى ... مــن يحمــه الــرحمن كيــف يضــام

ومــلأت هــذا الكــون نــورًا فاختفــت ... صـــور الظـــلام وقوضـــت أصـــنام

سلام الله عليك يا رسول الله، يا أجود من الريح المرسلة، وأكرم من الغيث الهاطل، وأبهى من البدر، يا من وسعت الناس بأخلاقك، وطوقت الرجال بكرمك، وأسعدت البشرية بدعوتك، ونصرت المظلوم بعدلك وعفوت عن المعتدين بحلمك، ورحمت المرأة والأرامل والطير والهوام بعطفك، وواسيت الصغار بقلبك، ورحم الإله الكون بوجودك، فعيشوا بسنته تفلحوا، وتمسكوا بهديه تنجوا، كونوا رحماء كما علمكم رسول الرحمة، كونوا محبين للخير وللغير.

علمكم من علم الدنيا الحب، فالحب ثقافة يجب أن تنتشر، ولغة يجب أن تدرس، وأحاسيس يجب أن تبث في الحياة.

انشروا الحب لأنه سنة نبيكم، أخبروا من تحبونهم في الله بحبكم لهم، أتى رجل إلى النبي ﷺ يعلن عن حبه لأحد المسلمين، فلم يكتف النبي ﷺ بالتربيت على تلك المشاعر، بل أمره «قم فأعلمه».

ما أسعدك يا معاذ بن جبل -رضي الله عنه- حينما قال النبي ﷺ: "إني أحبك يا معاذ"، بالله قل لنا كيف نمت هذه الليلة بهذه البشرى؟

كيف نام عبد الله بن أوس تلك الليلة عندما أعطاه الحبيب ﷺ عصاه، وقال له: بها أعرفك في الجنة؟

كيف نام بلال تلك الليلة عندما قال له الحبيب ﷺ: إني سمعت دف نعليك في الجنة؟

كيف نامت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تلك الليلة بعدما قال لها الحبيب ﷺ: إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يقرئك من الله السلام؟

الحياة كالحة، وإذا لم نعالجها بشيء من الحب ستصيبنا بداء الشيم، فتتفتت دون أن نشعر.

"ومضة"

إذا شئتم أن تذوقوا أجمل لذائذ الدنيا، وأحلى أفراح القلوب، فجودوا بالحب وبالعواطف كما تجودون بالمال

لو رآك رسول الله لأحبك

أتذكرون ذلك الجسم الناحل، ذلكم الرجل المغمور، أول صادح بالقرآن، من قال عنه رسول الله -ﷺ- «إنك غلام معلم» فقد علمه ربه حتى صار فقيه الأمة، وعميد حفظة القرآن الكريم على حد تعبير خالد محمد خالد -رحمه الله-، بل وصل الأمر إلى أن النبي -ﷺ- وصى الصحابة الكرام أن يقتدوا به في قراءة القرآن الكريم، كان أشبه الناس برسول الله عليه الصلاة والسلام في هديه وسمته.

إنه فقيه الدين وعالم السنة، الورع، الفطن: سيدنا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- الذي قال عنه رسول الله ﷺ لما ضحك الصحابة من دقة ساقي عبد الله بن مسعود: تضحكون من ساقي ابن مسعود، لهما أثقل في الميزان عند الله من جبل أحد.

أجل، هذا هو الفقير الأجير، الناحل الذي جعل منه إيمانه ويقينه إمامًا من أئمة الخير والهدى والنور، بل جعله أن يكون أحد العشرة الأوائل بين أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام أولئك الذين بشروا وهم على ظهر الأرض برضوان الله وجنته.

هذا الصحابي الجليل كان له من التلاميذ الكثير والكثير، يتهافتون عليه لينهلوا من علمه الذي أشربه من رسول الله ﷺ، زحام عليه لتلقي القرآن لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال من أحب أن يسمع القرآن غضا كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد، بل وصل الأمر أن يستمع الرسول عليه الصلاة والسلام إلى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، فلقد دعاه الرسول ﷺ يومًا، وقال له: اقرأ عليّ يا عبد الله، قال عبد الله: أقرأ عليك وعليك أنزل يا رسول الله؟ فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام "إني أحب أن أسمعه من غيري"، فأخذ ابن مسعود يقرأ من سورة النساء حتى وصل إلى قوله تعالى:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء: ٤١-٤٢]

فغلب البكاء رسول الله ﷺ وفاضت بالدموع عيناه وأشار بيده إلى ابن مسعود: أن حسبك - حسبك يا ابن مسعود.

لكنك تلمح من بين تلاميذ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فتى نجيبًا، يُعد من عقلاء الرجال، لا تسمع له في حياته كلمة تهاب، زاهدًا في الحياة، مقبلًا على الله والدار الآخرة، من أخلص الناس لربه، مجتهدًا في عبادته رغم ما أصابه من مرض، منفقًا جوادًا، أورع أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

إنه الربيع بن خثيم رضي الله عنه، الذي أدرك حياة رسول الله، لكنه لم يره، لذا يعد من كبار التابعين.

في مرة من المرات بينما يجلس سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في مجلس العلم، قد أحاط به جمع غفير، وإذا بالربيع بن خثيم يدخل، تعلوه ووقار وأدب، فإذا بابن مسعود رضي الله عنه يقول له كلمة تساوي الحياة وما فيها، كلمة كلنا في حاجة إليها، لكنها كلمة قيلت لمن يستحق بشهادة صحابي من أهل الجنة.

قال له «يا أبا يزيد. لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين».

يا ألله: **لو رآك رسول الله لأحبك**، ترى لماذا؟

دعونا نتجول قليلا في سيرة هذا التابعي الجليل لنرى ما الصفات التي أهلته لتلك الشهادة؟

الصفة الأولى:

الربيع ﵁ كان يغض بصره عن الحرام

فإطلاق البصر سبب لأعظم الفتن، فكم فسد بسبب النظر من عابد، وكم انتكس بسببه من فتيات وشباب كانوا طائعين، فَالعين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق العبد بصره أطلق القلب شهوته وإرادته، ولذلك كان السلف رضى الله عنهم يبالغون في غض البصر حذرًا من فتنته وخوفًا من الوقوع في عقوبته، وهذا ما كان يحذره الربيع بن هيثم ﵁، كان يغض بصره، فمر بنسوة فأمال رأسه إلى صدره حتى ظن النسوة إنه أعمى فتعوذن بالله من العمى.

في يومٍ من الأيام قال له بعض أصحابه: يا ربيع لم لا تجلس في الطرقات مع الناس؟

فقال: أنا أخشى ألا أرد السلام، ولا أغض بصري.

فهذا درس لنا جميعًا لا سيما أولئك الذين يجلسون في الطرقات.

الصفة الثانية:

كان الربيع ﷺ يشتغل بعيوبه عن عيوب الآخرين.

آآآه لو اشتغل كل إنسانٍ بنفسه لانصلح حالنا وصفيت صدورنا واطمأنت قلوبنا، وأُنيرت وجوهنا...

آآآه لو امتثلنا قول الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ ﴾ [المؤمنون: ٣]

فليس عند المؤمن لغو، وليس عنده وقتٌ للقيل والقال، ولا وقت لإضاعة المال، ولا لسقطات الناس، ففي وصف رسول الله ﷺ أنه كان طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، كلامه فصل لا فضول ولا تقصير، وهذا ما انتهجه الربيع ﷺ، ذات يوم قيل له: يا أبا يزيد، ألا تذم الناس؟

فقال: والله ما أنا عن نفسي براضٍ فأذم الناس، إن الناس خافوا الله على ذنوب الناس، وأمنوه على ذنوبهم.

نعم والله صدق الربيع، ألا ترون أننا في مجالسنا نتحدث ونقول: والله نخشى من عذاب الله من أفعال فلان وعلان، ونخاف من عذاب الله من أقوال فلان وعلان، ولكننا ننسى أن نخاف على أنفسنا من عذاب الله، من ذنوبنا وأفعالنا وأقوالنا.

قال إبراهيم اليتمى - رَحِمَهُ اللَّهُ- وهو يتحدث عن أخلاق الربيع: أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين سنة: ما سمع منه كلمة تعاب.

جاء رجلٌ إلى الربيع بن هيثم فاغتاب أخًا له، فقال الربيع: أقاتلت الروم؟

قال: لا

قال: أقاتلت الفرس؟

قال: لا

قال: فيسلم منك فارس والروم ولا يسلم منك عرض أخيك المسلم؟!

الصفة الثالثة:

كان الربيع بن هيثم يعفو ويقابل السيئة بالحسنة.

ما أحوجنا إلى هذه الصفة الجميلة، هي بالتأكيد صعبةٌ على النفس، ثقيلة على القلب، تنهش الضلوع، لكن أجرها عظيم لقول النبي ﷺ: من كظم غيضًا ولو شاء أن يمضيه أمضاه دعا على رؤوس الخلائق حتى يخير من الحور العين ما يشاء.

ذات يوم وبينما الربيع في المسجد ورجل خلفه، فلما قاموا إلى الصلاة، جعل الرجل يقول له: تقدم، ولا يجد الربيع مكانًا أمامه، فرفع الرجل يده وضرب بها عنق الربيع، ولا يعرف أن الذي أمامه هو الربيع بن هيثم.. فماذا تظنون من الربيع أن يفعل؟

هل رد الضربة للرجل أو أهانه؟

وأنا على يقين أن نفس الربيع في تلك اللحظات دعته للانتقام أمام هذه الإهانة، ولكنه داس على نفسه، وقابلها بعكس ما تريد،

أتدرون ماذا فعل؟

التفت الربيع إلى الرجل الذي ضربه فقال له:

- رحمك الله، رحمك الله.

وإذا بالرجل يبكي بكاءً شديدًا حين عرف الربيع.

نعم أقولها: هناك فرق بين الصفح والجبن.. هناك صفحٌ مع قوة وإرادة لثواب الله، وهناك جبن يضيع الحقوق ويضعف الشخص.. ولكن الربيع كان رحيمًا في قوة، بعفو في غير ضعف، بتسامح لا عن جبن، إنه امتثال حي لقول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥] .

فعلًا لو رآك رسول الله لأحبك.

الصفة الرابعة:
الخوف من الله

كان الربيع رضي الله عنه شديد الخوف من الله لدرجة أنه كان يتجهز لتلك الليلة التي سيفارق فيها أهله وماله، فيرى أنه كان يحفر لنفسه حفرة إذا وجد في قلبه قساوة، وينزل في تلك الحفرة ويتخيل أنه فارق الحياة ويندم ويسأل الرجعة إلى الدنيا فيقول:

﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾

[المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

ثم يجيب نفسه: " قد رجعت يا ربيع"

فيرى فيه ذلك أيام جد واجتهاد وخوف ووجل.

الصفة الخامسة:

المحافظة على الصلاة

كان الربيع قد أصيب بشلل نصفي، فكان يحمل بين رجلين إلى مسجد قومه، وكان أصحابه يقولون:

- يا أبا يزيد: لقد رخص الله لك، لو صليت في بيتك

فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي: حي على الفلاح، فمن سمع منكم: حي على الفلاح فليجبه ولو زحفا ولو حبوا.

اشتقنا لرؤيتك أيها الزاهد الورع كما اشتقنا لأصحاب رسول الله ﷺ..

وحينما حضرته الوفاة قالوا له:

- ألا ندعو لك طبيباً؟

قال: أنظروني

فتفكر ثم قال: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٨]، فذكر حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها، وقال: قد

كانت فيهم أطباء، وكان فيهم مرضى، فلا أرى المداوى بقي، ولا أرى المداوي، وأهلك الناعت والمنعوت، لا حاجة لي فيه[٤]...

ثم فارق الحياة للقاء ربه تاركًا وراءه ودًّا وحبًّا من الناس، وعلمًا وزهدًا وورعًا مما ورثه عن رسول الله - ﷺ- .

فسلام عليك أيها الورع

سلام عليك في حياتك ومماتك

وجزاك ربك خيرًا على ما تركت من سيرة حسنة وأثر طيب.

وأنت أيها القارئ:

الآن سل نفسك:

هل لو رآك رسول الله لأحبك؟

ترى سيحبك لأنك محافظٌ على الصلاة؟

---

٤ للاستزادة: سيرة أعلام النبلاء للذهبي، تهذيب الكمال للحفاظ المزي، مع التابعي (الربيع بن هيثم) شبكة الألوكة.

ترى سيحبك لأنك لا تغتاب الناس؟

سيحبك لأنك عشت الحياة لكن بعيون رسول الله ﷺ؟

سيحبك لأنك سرت في الحياة بمراد الله ومراد رسوله، لا بمراد أهل الأهواء وأدعياء الحريات الزائفة؟

سيحبك لأنك صبرت على الفتن رغم كثرتها، ورغم سهولة الوصول إليها لأنك وضعت نصب عينيك قول الله تعالى:

﴿ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ ﴾ [المائدة: ٩٤]

سيحبك لأنك أحببت الناس، وأحببت الخير لهم، فعشت للحب وبالحب؟

أراك الآن تنفرج أسارير وجهك، باسم الثغر، منشرح الصدر لا شيء إلا لأنك تذكرت رسول الله ﷺ..

فالآن صلّ عليه..

"ومضة"

لا يكفي فقط أن تكون على قيد الحياة...

عليك أن تكون على قيد الأمل... قيد

النجاح... قيد التفاؤل... قيد العمل

وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم

﴿ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ [النور: ١٥]

هذه آية كريمة في سورة النور جاءت في معرض الحديث عن حادثة الإفك التي اتهمت فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زورًا وبهتانًا، حيث انتقد القرآن على فريقٍ من الناس أباحوا لأنفسهم النيل من الآخرين دون سند أو دليل تاركين وراءهم تعاليم الإسلام التي تحفظ للمسلم عرضه أن يمسه أحد بسوء سواء بالقول أو بالفعل.

وهنا لطيفة قرآنية رائعة في قوله تعالى:

﴿ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ ﴾ [النور: ١٥]

ففي التعبير بلفظ التلقي إشارة إلى شوق المتلقي لما يتلقى، فكأنّ هناك أناسًا متعطشين لمثل هذه الشائعات، يبحثون عنها، ويتلقفونها، فكأنّ هناك استعدادًا وترحيبًا للشائعة.

وهذا ينبئ عن مرض في بعض القلوب، ولعلنا نلحظ هذا التلقي أحيانا في تلقف أخبار الأخيار، وتصيد أخطائهم، ونشرها وتكبيرها.

وفي التعبير بقوله ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ نلحظ فيه كيف كان تلقي الخبر باللسان، مع أن اللسان ليس هو الأداة لتلقي الأخبار، بل الأداة المعنية بذلك هي الأذن، ومع هذا لم يكن النظم الجليل: إذ تلقونه بآذانكم، بل بألسنتكم، لما في ذلك من تصوير اختلال موازين التلقي عند هذه الفئة الراغبة في الشر، ونشر الشائعات المغرضة بين الناس، فكان في ذكر التلقي باللسان بيان أن هذا الخبر الذي تتلهفون له، وتتلقون تلقي الغائب، لم يمر من قنواته التي تضمن سلامته أو سلامة التعامل معه؛ وهي الأذن ثم العقل، ثم بعد ذلك اللسان، بل إن الذي حصل هو التلقي من اللسان إلى اللسان، فما أدق هذا التصوير لحال كثير من محبي نشر السوء.

قرأت ذات مرة عبارة كتبها بعضهم، عبارة مخيفة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، حيث كتب في دفتر المديونيات الخاص بمحله **(حساب مؤجل ليوم القيامة)** أمام اسم أحد المديونين المتوفين، فلما طالبه بعض الناس بمسامحة هذا الرجل قال:

"عندما كان حياً كان يستطيع سداد دينه، ولكنه كان يماطل ويتجاوز بكلمات سيئة أمام الناس".

الحقيقية أنه ليست الديون المادية فقط هي المؤجلة ليوم القيامة.. لا... هناك ديون وحسابات أخرى كثيرة مؤجلة ليوم القيامة سواء بالقول أو الفعل، وأكيد سيسدد جزء منها في الدنيا لأن الله تعالى عدل؛ حرم على نفسه الظلم وجعله على عباده محرما....

فالذي ظلم: مديون...

والذي خان العهد والود ولم يصن العشرة مديون.

الذي لم يحفظ حق العيش والملح مديون.

الذي كذب واتهمك بما ليس فيك مديون.

الذي يظهر عكس ما يبطن مديون.

من قال ما ليس فيك مديون.

الذي آذاك مديون.

الذي لعب بمشاعر فتاة وأوهمها بخطبتها ولم يفعل مديون.

الذي استنزف طاقتك واستغل طيبتك مديون.

وعلى الباغي تدور الدوائر، وويل للظالم من ظلم المظالم، وعند الله تجتمع الخصوم.

مشاهدة المواقع المحرمة أو نشرها دين ستقف به أمام الله.

عن عجيب آيات حادث الإفك كذلك أنها قالت

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ﴾ [النور: ١١]

فالذي دل على الشر أو شارك فيه أو سنه إثمه عظيم

هناك ذنوب يظنها بعض الشباب أنها هينة وهي عند الله عظيمة.

أن تجهر بذنوبك ومعاصيك... إياك أن تظن أن هذا هين

أن تسب صديقك بأبيه وأمه على سبيل الدعابة... إياك أن تظن أن هذا هين.

أن تسب الدين في وقت الغضب... هذه مصيبة كبرى تحتاج إلى توبة.

أن تتحرش بالقول أو الفعل ببعض الفتيات... إياك أن تظن أنها هينة.

لذلك يقول الشاعر:

خــــلِّ الـــــذنوب حقيرهـــــا	وكثيرهـــــا فهــــو التقـــــى
كُـــن فَـــوقَ مـــاشٍ فـــوق أرض	الشــــوك يحـــذر مـــا يــــرى
لا تحقـــــــــرن صـــــــــغيرة	إن الجبـــال مــــن الحصــــى

يقول النبي ﷺ:

"إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا في بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزهم حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه.

"حديث صالح أخرجه أحمد".

هل كان يخطر ببال غلام النبي ﷺ أن شملة (رداء صفير) غلها من الغنائم أن تشتعل عليه نارا؟

إن المؤمن الحق يخشى الذنوب وإن كانت صغارًا للآتي:

أولًا: علمه أن الله تعالى يحاسب عباده على الصغير والكبير.

ثانيًا: لأن المؤمن ينظر إلى عظم من عصاه وهو الله سبحانه وتعالى، لا إلى صغر المعصية.

ثالثًا: قد يظن أن الذنب صغيرٌ لكنه عند الله عظم.

رابعًا: رُبّ ذنب يظنه الإنسان صغيرًا ويكون سببًا في هلاكه.

خامسًا: استصغار الذنوب واحتقارها سببٌ للوقوع في الكبائر والتهلكة.

سادسًا: الذنوب الصغار تكبر مع الإصرار.

أخي الكريم - أختي المباركة: لا يقف فهم الآية على مجرد ما سقته لك من أعمال تظنها صغيرة وهي عند الله كبيرة، بل أنا هنا أيضا أبشرك ولا أقنطك، ونيسر ولا نعسر، ونأخذ بأيدي بعضنا لطريق النجاة، فرغم ما ذكرته لك من ذنوب إلا أنه على الصعيد الآخر هناك أيضا حسنات قد تظهر صغيرة وهل عند الله تزيد الجبال رواسي، منها:

أولا: كلمة التوحيد

قال – ﷺ- "من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة".

ثانيا: الصلاة في جماعة:

قال – ﷺ-: من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا.

ثالثا: الدعاء

أتى رجل إلى النبي - ﷺ- فقال يا رسول الله: كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: قل: اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني، ويجمع أصابعه إلا الإبهام، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك.

رابعًا: الدعوة لأخيك بظهر الغيب:

قال ﷺ: ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل.

وقال - ﷺ- من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة.

خامسًا: الاستغفار:

قال- ﷺ-: من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب.

سادسًا: الصلاة على النبي ﷺ

بها تقضى الحوائج وتنال الرغائب، وتكفيك ما أهمك وتغفر لك ذنبك.

سابعًا: انظر إلى هذا الحديث العجيب الذي أحب أن أختم به

جاء رجل إلى النبي ﷺ قال:

اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي، فقالها

فقال ﷺ "عد" فعاد

فقال ﷺ: "عد" فعاد

ثم قال ﷺ: "قم فقد غفر الله لك"

"رواه الحاكم وصححه".

فاللهم أدم علينا نعمك وبرك ولا تنسنا ذكرك

وألهمنا على كل نعمة شكرك

وأرنا بركة عطائك في أرزاقنا وأولادنا وصحتنا وحياتنا وأهلنا وأحبابنا.

"ومضة"

إياك أن تؤذي روحًا لا يسمع أنينها إلا ملك الملوك

بين الطيبة والسذاجة

من أهم الأخلاق التي يجب على كلّ إنسانٍ أن يتصف بها، والمحافظة عليها: طيبة القلب، فما أروع الإنسان صاحب النفس الطيبة الصامتة الذي لا يكره ولا يحقد ولا يحمل في قلبه شرًّا لأحد، إنه هين لين، ذو روح منبسطة، يحول الأمور الصعبة إلى يسيرة، يبتعد عن العقد والتعقيد، يشعر من حوله بأن الحياة أكثر رحابة واتساعًا وسهولة، صدق فيه قول رسول الله ﷺ:

"أفضل الناس كل مخمومِ القلب، صدق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخمومِ القلب؟ قال: التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغى، ولا غل، ولا حسد.

"حديث صحيح"

الحديث يطول عن صفات هذا الإنسان الطيب، غير أن هذا الخلق على جانب من الخطورة والتعب والضغط النفسي.

على حد تعبير الداعية: مصطفى حسني؛ فإن الناس ثلاثة أصناف:

١- القاسي

٢- المستباح

٣- الطيب

القاسي: الذي ينطبق عليه قول -ﷺ-: "من لا يَرحم لا يُرحم".

المستباح: هو الذي يتسم بالطيبة الزائدة التي تجعله متألمًا، مهدور الحقوق.

الطيب: هو بين القاسي والمستباح.

بل أقول: إن الطيب هو النقي سليم الصدر غير أنه غير ساذج، الذي لا يُخدع ولا يُستغل من الآخرين، فهناك فرقٌ شاسعٌ بين ما يطلق عليه طيب لكنه يُستغل مرة ويُسخر منه أخرى، بل أحيانًا تجده يحاول تغيير سلوكه وإجبار نفسه على طباع ليست طباعه.

نَعم الناس يحبون الطيب، لكنهم لا يعلمون كم يعاني طيب القلب من الأوجاع، فإذا لم يفعل ما طلب منه من الآخرين لا يعجبهم.

أيها الطيب:

ليس عيباً أن تقدم كل ما تستطيع للآخرين برضا تام.

ليس عيباً أن الله تعالى منحنا أجمل هدية وهو القلب الطيب.

ليس عيباً أن تمد يد العون للمحتاج.

العيب يكمن في هؤلاء الذين يستغلون الطيبة

العيب يكمن في أن تحول نفسك من طيب إلى ساذج.

تعجبني شخصية سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-؛ قوى برحمة، يقضي مصالح الآخرين بحكمة، زاهد بقناعة، لذلك يقول "لست بالخب ولا الخب يخدعني". أي لست مزارعًا غادرًا ماكرًا، ولا يمكن أن يخدعني الماكر المراوغ، فالمؤمن ليس مخادعًا غادرًا، كما لا يسمح لغيره أن يغدر به.

وتعجبني مقولة ابن القيم - رحمه الله- عن سيدنا عمر فقال: كان عمر أعقل من أن يُخدع، وأورع من أن يْخدع.

وقال المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه-: ما رأيت أحدًا أحزم من عمر، كان والله له فضل يمنعه أن يجزع، وعقل يمنعه أن يخدع.

لا تتخلَّ عن طيبة قلبك أبدًا. لكن لا تسمح لأحد أن يستغلك، يجب أن تكون حريصًا تعرف ما لك وما عليك.

ونحن نعيش الحياة بعون النبي -ﷺ-، تذكر كيف كان رحيمًا، عطوفًا، يقضي حاجات الناس، يعطف على الأرملة والمسكين واليتيم والطفل الصغير، حتى أصحاب القدرات الخاصة ذوي الهمم كان النبي عليه الصلاة والسلام يستمع لهم ويقضى حاجاتهم، لكن على الصعيد الآخر كان النبي -ﷺ- يعلم المنافقين ومواقفهم، لا يقبل الخيانة مهما كانت.

وحينما أراد ذو الخويصرة - وهو رجل من بنى تميم - أن يستغل النبي - ﷺ- وهو يوزع الغنائم، فقال لرسول الله: اعدل، فقال له - ﷺ-، ويلك، ومن يعدل إذا لم يعدل رسول الله؟

وعندما أراد فضالة بن عمير الليثى أن يقتل رسول الله - ﷺ- يوم الفتح، فجاء بجوار رسول الله وهو يطوف بالبيت، فلما دنا من الرسول عليه الصلاة السلام، وهو يحمل السيف تحت ملابسه، قال له ﷺ: "أفضالة؟

قال نعم فضالة يا رسول الله

فقال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟

قال: لا شيء، كنت أذكر الله

فالرسول - عليه الصلاة والسلام - ضحك، وقال: استغفر الله يا فضالة، ثم وضع يده على صدر فضالة فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي من رسول الله".

جلس صفوان بن أمية وعمير بن وهب في الحجر عند الكعبة، يتذاكران مصابهما في بدر وقتلاهم، فأصابهما الهم والغم، فإذا بعمير بن وهب كان له ابن أسير عند رسول الله، يقول لصفوان:

لولا دين علي وعيال أخاف العيلة عليهم لذهبت إلى محمد فقتلته

فقال صفوان: دينك عليّ، وعيالك مع عيالي أنا أواسيهم

فانطلق عمير وشحذ سيفه وسقاه سمّا، وانطلق إلى مدينة رسول الله إلى المدينة ليقتل رسول الله، فلما دخل المدينة ودخل عند المسجد، رآه عمر بن الخطاب، هذا عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، فأمسكه عمر، ودخل به إلى النبي ﷺ، فقال النبي لعمر:

أدخله يا عمر

فأوصى عمر بعض الأنصار أن يكونوا عند رسول الله يحمونه، فدخل عمر ماسكا عميرا بسيفه، فقال النبي - ﷺ-:

ما تفعل بسيفك يا عمير؟

قال: وهل أغنت عنا شيئًا يوم بدر

قال له النبي -ﷺ- ما الذي جاء بك يا عمير؟

قال: جئت من أجل ابني لتحسن إليه وتُجمل فيه

فقال له – ﷺ– أوذاك؟

قال: نعم

قال: لا بل جلست أنت وصفوان بن أمية في الحر عند الكعبة تتذاكران قتلاكم في بدر، وتعهد لك بديونك وعيالك

فقال عمير: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، والله ما علم أحد بهذا إلا أنا و صفوان، كنا نكذبك بخبر السماء أما الآن فلا أكذبك بشيء

فأمر رسول الله أصحابه أن يعلموه الدين.

جاء ليقتل النبي فرجع يدعو لدين الإسلام.

فكن على نهج حبيبك – ﷺ– يعفو ويصفح

ويعطف ويحلم

ويصل ويسامح، لكن بقوة وعزيمة وحكمة وخبرة.

فلا تخجل من طيبة قلبك، لكن جملها بالخبرة والذكاء.

حافظوا على قلوب الطيبين في حياتكم، فلهم قدرة على التحمل لا يمتلكها الكثير من البشر، لا تفقدوهم فإنهم إن رحلوا لا يعودون، يرحلون بهدوء كما يبكون بصمت، هم من يصنعون الأمل على كوكب الارض، يزرعون الورود بالطرقات، ويرسمون البسمة على الوجوه، ينشرون عبق طيبتهم وجمال قلوبهم في كل مكان، يتركون أثرًا في القلوب لا يمحى، لا يبحثون عن الفرص للتشفي، لا يعرفون سوء الظن، ولا الخبث، بل عندهم وفاء ونقاء.

تذكروا أن الله سبحانه وتعالى لو أحب عبدًا رزقه لين القلب، فخير القلوب أحنها.

هناك قلوب:

في عز جرحها تداويك

في عز ضعفها تقويك

في عز حاجتها تعطيك

في عز أملها تبتسم لك

في عز شتاتها تلملمك...

نخير القلوب أوعاها للخير

فهنيئا لهؤلاء.

"ومضة"

الكلمة الطيبة ليست سهمًا، لكنها تخرق القلب

نعمة يغفل عنها الكثير

قرأت مرة قصة قصيرة أعجبتني، يقول صاحب القصة:

"كنت أشتري صباح كل يوم من بائع الصحف صحيفة، وقد علمني درسًا مهمًّا سيبقى في ذاكرتي طوال العمر، يقول:

سألته مرة:

كيف حالك اليوم يا عم؟

فقال لي: والله في نعمة الستر.

فاندهشت من إجابته، وسألته: ولماذا الستر تحديدًا؟

فقال لي: لأنني مستورٌ من كل شيء.

قلت له مداعبًا: عن أي ستر تتحدث وقميصك مرقع بألوان شتى؟!

فقال لي: يا بني، الستر أنواع:

- عندما تكون مريضًا ولكنك قادرٌ على السير بقدميك، فهذا سترٌ من مذلة المرض.

- عندما يكون في جيبك مبلغٌ بسيطٌ يكفيك لتنام وأنت شبعان حتى لو كان خبزًا، فهذا سترٌ من مذلة الجوع.

- عندما يكون لديك ملابس ولو كانت مرقعة، فهذا سترٌ من مذلة البرد.

- عندما تكون قادرًا على الضحك وأنت حزين لأي سبب، فهذا سترٌ من مذلة الانكسار.

- عندما تكون قادرًا على قراءة الصحيفة التي بين يديك، فهذا سترٌ من مذلة الجهل.

- عندما تستطيع أن تتصل بأهلك في أي وقت لتطمئن عليهم ويطمئنوا عليك، فهذا سترٌ من مذلة الوحدة.

- عندما يكون لديك وظيفة أو مهنة -حتى لو بائع صحف- تمنعك عن مد يدك إلى أي شخص، فهذا ستر من مذلة السؤال.

- عندما يبارك لك الله في أولادك وبناتك، في صحتهم وتعليمهم وزواجهم، وبيوتهم، فهذا ستر من مذلة القهر.

- عندما يكون لديك زوجة صالحة، تحمل معك هم الدنيا، فهذا سترٌ من مذلة الانكسار.

تنكر دائمًا أنك تملك نعمًا يتمناها ملايين البشر.. هذه هي نعمة الستر..

"الستر يا بني ليس ستر فلوس، وإنما ستر نفوس".

سبحانك ربي؛ ستير تحب الستر، بل كما تستر عبادك في الدنيا رغم معاصيهم، تسترهم في الآخرة، قال - ﷺ- "يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم".

أخرجه مسلم (٢٧٦٨).

وقال - ﷺ -:

"إن الله حي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر".

يقول عطاء بن رباح - رضي الله عنه - الستر ستران:

ستر عن المعصية، أو ستر في المعصية.

فالعامة يطلبون الستر في المعصية حتى لا يسقطوا من عين الخلق.

والخاصة يطلبون الستر عن المعصية حتى لا يسقطوا من عين الخالق جل جلاله.

يا رب: أدم علينا نعمة الستر... واجعلنا ممن ستروا فسُتروا، وممن نصروا فنُصروا.

يا رب: نحن قوم مساكين... لولا سترك علينا لافتضحنا... سبحانك كسوتنا ثوب الستر، وحجبت عيون الناس عن رؤية معاصينا، فإذا أُعجب الناس بنا فإنما أعجبوا بجميل سترك علينا.

يااه لما تشاهد مقطع الشيخ الغزالي وهو يبكي عند حديثه عن الستر ويقول:

"ولولا هذا الستر الذي لف الله به نفسي وكياني لافتضحت... نحن في ستر الله نعيش..."

وكما قال أبو العتاهية:

أحسن الله بنا أن الخطايا لا تفوح فإذا المستور منا بين ثوبيه فضوح...

نعم: نحن في ستر الله نعيش... لأنه هو الستير.

الستير جل جلاله: هو الذي يحب الستر ويرغب فيه ويحث عليه.

الستير جل جلاله: هو الذي من شأنه وإرادته وصفته حب الستر والصون.

الستير جل جلاله: هو كثير الستر لعيوب عباده.

الستير جل جلاله: هو الذي يستر القبائح في الدنيا ويستر الفضائح في الآخرة.

الستير جل جلاله: هو الذي كره إشاعة السوء حتى لو كانت صادقة وكره الذين يشيعونها، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝١٩ ﴾ [النور: ١٩].

الستر أخي الكريم... أختي المباركة جوهرة نفيسة وعملة ثمينة وسلوك راقٍ، به تحفظ الأُمة بنيانها ويبقى لها كيانها وتدوم لها أخلاقها.

ماذا لو كشف الله ستره على عباده؟

ماذا لو كتبت ذنوبنا على جباهنا فاطلع عليها الناس؟

ماذا لو كتبت على جدران بيوتنا الذنوب التي يقترفها هذا البيت أو ذاك؟

كم من أسرة ستحطم لو كشف ستر الله؟

كم من زوجة ستطلق لو كشف ستر الله؟

كم من رحم ستقطع لو كشف ستر الله؟

كم من خليل سيفارق خليله لو كشف ستر الله؟

كم من صداقات ستمزق وعلاقات ستباد لو كشف ستر الله؟

والستر أنواع: منها:

١- ستر الخلقة والتكوين:

فانظر كيف سواك الله ﷻ في أحسن تقويم، ستر وجهك باللحم فجعله جميلًا، وستر عظامك باللحم لتكون في أجمل صورة.

٢- ستر الله على عباده:

يسترك في حياتك ويسترك في قبرك، ويسترك في آخرتك، ويسترك وأنت تعصيه، بل في وقت معصيتك له وأنت تغلق الأبواب يرسل لك الهواء النقي من تحت عتبة بابك لكي لا تختنق... ما أرحمك ربي.

٣- ستر أسرار الزوجية:

قال -ﷺ-: "من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثم ينشر سرها".

"رواه مسلم".

٤- ستر الصدقة:

فالمسلم لا يبتغي بصدقته إلا وجه الله - سبحانه وتعالى - لذا فهو يسترها ويخفيها حتى لا يراها أحد سوى الله عز وجل.

واعلم أنك بسترك لعباد الله تنال الأجر الجزيل:

فالستر يطفئ نار الفساد ويشيع المحبة بين الناس.

الستر يورث الساتر سعادة وسترًا في الدنيا والآخرة

ومن ستر مسلما ستره الله.

الساتر موصوف بالحكمة والحصافة ورجاحة الرأي.

والسؤال المهم الآن:

أين ذهبت ثقافة الستر في مجتمعنا؟

ما هذا الزخم في نشر أخبار الناس؟

ترى وتسمع وتقرأ كل يوم عن فضائح هنا وهناك، صفحات التواصل الاجتماعي اكتظت بنشر المعايب والأسرار... شاهد قبل الحذف - شارك وافضح - ما هذه الثقافة الدخيلة على مجتمعنا، والتي يأباها ديننا؟

اعلم أنّ الستر على الآخر أمرٌ ليس بالسهل؛ لأن الإنسان بطبيعته فضولي، لذلك كان جزاء من يستر أخاه عظيمًا، بأن يستره الله يوم القيامة أمام جميع الناس...

كن ذكيًّا وتعامل مع ملك الملوك: إذا وصلتك فضيحة عن أحد فاجعلها تقف عندك ولا تتجاوزك، فإن وقفت عندك أخذت أجر الستر بمشيئة الله، ومن ستر مسلمًا ستره الله، والمؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويفضح، لذلك قال سيدنا أبو بكر: لو لم أجد للسارق

والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستر عليه..

صلى الله وسلم عليك يا رسول الله ... علمت أسماء المنافقين وسترتهم ولم تفضحهم وكأنك قلت: لنا الظاهر والله يتولى السرائر.

صلى الله وسلم عليك يا رسول الله: ناديت بأعلى صوتك: يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته، يفضحه في بيته. "مسند أحمد".

أتعلمون قصة ماعز الذي وقع على المرأة الغامدية وجاء فأخبر النبي - ﷺ- بفعلته؟

فأمر النبي به فرجم، أتذكرون تلك القصة؟

تعلمون أنه في رواية عند الإمام مالك أن رجلًا اسمه هزال، هو الذي أشار على ماعز أن يأتي إلى النبي - ﷺ- فيخبره، فقال له النبي ﷺ-: يا هزال، لو سترته بردائك لكان خيرا لك، وفي رواية: ألا سترته بثوبك يا هزال.

فاللهم استرنا بسترك الجميل، واجعل ما تحت الستر ما ترضي به عنا، اللهم استرنا فوق الأرض ويوم العرض عليك، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ولا تكشف عنا سترا أرخيته، وأخرجنا من الدنيا بالستر، وحسن الذكر.

"ومضة"

احذر أن ينفد رصيدك من ستر اللّه عليك

العشم

من أكثر المواقف التي تحبطك في الحياة أن تتعشمَ في شخص ما، ثم سرعان ما يأتي الخذلان من هذا الشخص، فيتحطم قلبك، ويضيق صدرك، وتتحسر على أنك وضعت عشمك في أقرب الأقربين لك نخذلك، العشم أكثر شيء ممكن يكسر بخاطر الإنسان.

معنى العشم:

أن يكون لك أملٌ أو رجاءٌ في شخص ما - خصوصًا المقربين منك - تعبيرًا عن الشيء المستحيل حدوثه.

العشم كلمة جميلة لو وضعت للشخص الصح، أما لو وضعت في الشخص الخطأ فهنا تكون الخيبة والخسران والتعب.

وقد أشار القرآن الكريم إلى معنى العشم في قصة النبي صالح عليه السلام، وقد كان صاحب مكانة بين قومه، فلما أصبح نبيًّا قالوا له:

﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ ﴾ [هود: ٦٢]

أي كنا نتعشم ونؤمل فيك خيرًا فتحطم هذا العشم حين دعوتنا لنعبد إلهً واحدًا قالوا:

﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٦٢ ﴾

[هود: ٦٢].

وانظروا إلى سيرة النبي - ﷺ- كيف كان يتعشم مع أناس كثيرين:

تعشم في إسلام عمه أبي طالب، وقال له: قل لا إله إلا الله كلمة أشفع لك بها يوم القيامة، فتحطم عشم النبي فيه ومات عمه على غير الإسلام.

تعشم في إسلام عمه أبي لهب، فتحطم عشمه في أقرب الناس إليه.

تعشم في إسلام صناديد قريش، حتى عاتبه ربه قائلًا:

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٣ ﴾ [الشعراء: ٣]

وقال له ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍۚ ﴾ [فاطر: ٨]

فلم يؤمنوا إلا من رحم الله منهم.

تعشم في أهل الطائف وطوى المسافات ليدعوهم إلى توحيد الله والإيمان برسوله، فتحطم عشمه فلم يؤمنوا، بل زادوا على ذلك أن سلطوا عليه الصبيان فرموه بالحجارة حتى دُمّيت قدما النبي ﷺ.

تعشم في المنافقين أن يحسنوا إسلامهم، فتحطم هذا العشم حتى قال له ربه:

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ ﴾ [التوبة: ٨٠]

تعشم في أعمامه وقومه أن يساندوه في دعوته، فكانوا أول المحاربين له.

والنبي - ﷺ- يتعشم فينا نحن:

أن نكون مؤتمنين على هذا الدين، حاملين لواءه

أن نعيش بأخلاقه

أن نكون قدوة صالحة تدل على تربية رسول الله لنا، لكن هذا العشم يخيب من البعض يوم القيامة

قال – ﷺ– " أنا فَرَطُكُمْ علَى الحَوْضِ " – أي سابقكم إليه –، ليردنّ على أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول:

إنهم مني

فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك

فأقول: سحقًا سحقًا لمن غيّر بعدى».

ياااااه .....

إياك أن تخيب عشم النبي – ﷺ– فيك..

إياك أن تبتعد عن سنته

إياك أن يتعشم فيك أنك ستحمل هذا الدين الذي تعب في تبليغه وبذل فيه الغالي والنفيس، ثم يخيب رجاء النبي فيك.

لو بحثت في حياة أي فرد منا الآن ستجد أنه تعرض لموقف خُذل فيه، بسبب أنه تعشم بزيادة في شخص وثق فيه ووضع عليه آماله.

قد نكون سمعنا كثيرًا عن شاب عشم بنتًا بالزواج، وعلقها بحبال مقطوعة، وفي الآخر خذلها واستغنى عنها وحذفها من حياته.

أبشع شيء أن تعشم إنسانًا ثم تخذله، لعلك كنت الشخص الوحيد الذي كان يلجأ إليه ذلك الشخص، فكسرت بخاطره، وربما مرض بسبب خذلانك أو مات قهراً.

من أجل ذلك أقول لك:

إياك أن تعشم أحدًا وتخذله

عشمت إنسانة بزواج.. كن رجلًا وإياك أن تخذلها.

عشمت زوجتك بخروج أو بشيء تمناه.. إياك أن تخذلها.

عشمت أولادك بشيء.. كن عند حسن ظنهم بك.

الزعيم غاندي يقول:

«بعد مراحل متعددة من الأذى، ستدرك أن الهروب من مرحلة العشم بالآخرين، هو من أعظم انتصار يمكن أن تحققه لقلبك».

يحكى أن فقيرًا عاش طوال حياته نائمًا في الشارع بملابس خفيفة، كيّف نفسه على تحمل البرد، فرآه الملك وقال له:

- انتظرني سأدخل القصر وأرسل لك مع الخدم غطاء يحميك من البرد.

دخل الملك القصر ونسي أن يرسل الغطاء للفقير، فلما خرج من قصره لصلاة الفجر وجد الفقير قد مات..

مات من البرد!

عاش حياته متحملًا البرد، لكنه لما تعشم بغطاء وخذله الملك مات، لعل العشم ألغى قوة تحمله.

من أجل ذلك أقولها لك: لا تجعل عشمك إلا بالله - ﷻ- لأنه القائل: " **أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**"

وهو القائل:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

[البقرة: ١٨٦]

العشم في الله لا يخيب أبدًا.. لأن الله ﷻ هو القوي.. وهو السند.. وهو الذي يفرح بدعائك، إياك أن تيأس من رحمته، إياك أن تيأس من كرمه، لأن ربك أكرم من أن يرد دعاءك أو يخيب ظنك.

تعشم في ربنا أنك لما تنفق سيخلف عليك.

تعشم في الله أنك لما تتوب سيقبل توبتك.

تعشم في الرحمن، أنك لما تضحي بشيء سيعوضك بأحسن منه في الدنيا والآخرة.

العشم في الله يجعلك في حالة من السكينة والطمأنينة.

سيدنا موسى عليه السلام لما هرب من فرعون وخاف أن يقتله، في أول ليلة هرب فيها وحيدًا، ودخل بلد يقال له مدين، لا مال معه ولا أنيس ولا جليس، لكنه تعشم في الله وقال:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص: ٢٤]

أي: يا رب أنا في حاجة إليك، أنا مفتقر لفضلك

فكان العطاء من الله في الليلة نفسها؛ تزوج ووجد عملًا وعائلة، وعاش مستورًا، لأن الله لا يخيب من رجاه.

سيدنا يونس لما كان في بطن الحوت؛ لا عشم هناك إلا في الله، يجلس في ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، لكنه تعشم في الله وقال:

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

[الأنبياء: ٨٧]

عش حياتك بعيون النبي - ﷺ- وتعلم أن العشم لا يكون إلا في الله.

عش حياتك وأنت تعلم أن الله تعالى أكرم من أن يسد في وجهك بابًا إلا ويفتح لك أبوابًا غيره فيها الخير والأمل والرزق.

فيا رب لا تخيب ظنوننا ونوّلنا سؤالنا، ولا تكسر بخاطرنا، ولا تحرمنا من عشمنا فيك.

"ومضة"

يظل العشم في اللّه هو الرهان الوحيد المضمون في هذه الحياة القاسية

فن التطنيش

كلمة « طنش» من الكلمات الدارجة المتداولة، ومعناها ألا تهتم لأمر، صرف النظر عن أمر ما، لا تكترث، لا تعره اهتمامًا.

والتطنيش فنٌ راقٍ لا يتقنه إلا محترفو السعادة، كما قيل: إذا ذهبت تدقق خلف كل جملة، وتبحث عن كل مقولة قيلت فيك، وتحاسب كل من أساء إليك، وترد على كل من هجاك، وتنتقم من كل من عاداك، فأحسن الله عزاءك في صحتك وراحتك. ونومك ودينك واستقرار نفسك وهدوء بالك، وسوف تعيش ممزقًا قلقًا مكدرًا، كاسف البال، منغص العيش، كئيب المنظر، سيئ الحال.

وبالمناسبة: «التطنيش» له أصل في القرآن والسنة، لكن هناك فرق بين «التطنيش» الذي يعني أن تستعلي على توافه الأمور، وبين ما يسمونه « البرود» في رد الفعل.

هناك آية عظيمة لعلك تتلمس فيها هذا الفرق الدقيق، وهي قوله تعالى:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾

[الأعراف: ١٩٩]

أي خذ ما تسمع به أخلاق الناس، فلا تشدد على البخيل ليكون كريمًا، ولا على العبوس ليكون بسامًا، ولا على صاحب العصبية ليكون حليمًا، بل اقبل الناس على علاتهم.

وأعرض عن الجاهلين:

أعرض عمن أساء إليك، لا تقابل جهله بجهالة مثلها، بل لا تلتفت إليه، ولا تضِع وقتك في محاسبته.

قيل: لما نزلت هذه الآية سأل النبي - ﷺ- سيدنا جبريل عنها، فقال: لا أدري حتى أسأل، ثم رجع فقال: يا محمد، إن ربك أمرك أن تصل من قطعك، وتُعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

وعن جعفر الصادق: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها [٥].

وقريب من هذا أن الله تعالى وصف عباده المؤمنين بصفات نبيلة وأخلاق جميلة، ومن ضمن ما وصفهم به أنهم يترفعون عن المهاترات والسباب، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[القصص: ٥٥].

ووصف الله ﷻ عباد الرحمن بقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣].

ما أعظم أن يصفك الله بأنك عبد له (وعباد الرحمن): لقب كبير ومقام أعظم، ما أشرف وأكرم أن تكون عبدًا للرحمن، لكن هؤلاء لهم مقاييس وصفات، منها:

(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما): حفظوا شعورهم، وحفظوا فكرهم، وحفظوا ألسنتهم، لأن وقتهم ثمين يحافظون عليه،

---

[٥] معالم التنزيل للنبوي (١/ ٥٠٨) ط: دار ابن حزم.

لا ينطقون إلا بالحكمة، ولا يردون إلا بالتي هي أحسن. عباد الرحمن لهم في النهار هدف كبير، وفي الليل مقام عظيم.

استأذن رهط من اليهود على رسول الله - ﷺ- فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة رضي الله عنها: بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله، قالت ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلت وعليكم... رواه مسلم.

إن رسول الله ﷺ أراد أن يعلمنا ألا نقف عند سفاسف الأمور، وأن نستعلي على الخلافات، وأن الرفق يكون في كل شيء حتى عند الاستفزاز.

وما أجمل عبارة الحافظ ابن حجر - رحمه الله- حينما قال:

والذي يظهر أن النبي ﷺ أراد ألا يتعود لسانها - أي عائشة -رضي الله عنها- بالفحش.

وقال المهلب: في هذا الحديث جواز الخداع الكبير للمكايد..

«فتح الباري» .

جاء أعرابي إلى رسول الله.. رغم فظاظة هذا الأعرابي في الكلام أعطاه النبي - ﷺ- شيئا، ثم قال:

«أحسنتُ إليك»

قال الأعرابي: لا ولا أجملت

فغضب المسلمون، والنبي يترفع عن الرد عليه، ثم قام النبي - عليه الصلاة والسلام - فدخل منزله، ثم أرسل إلى الأعرابي فدعاه إلى البيت فأعطاه شيئًا، فقال: أرضيت؟

فقال: لا

ثم أعطاه أيضًا، فقال أرضيت؟

قال: نعم جزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا.

ونجد ترفع النبي عن سفاسف الأمور ظاهراً جدًّا مع عمه وزوجة عمه: سبحان الله على الرغم من أن أبا لهب وامرأته سّبا رسول الله - ﷺ- كثيرًا جدًّا وآذوه كثيرًا، إلا أن السيرة لم تنقل لنا عن رسول

الله سبًّا لعمه أو ردًّا عليه أو إيذاء له، إلا ما نزل القرآن في شأن أبي لهب وامرأته.

مواقف كثيرة في حياة رسول الله ﷺ تدل على تغافل رسول الله عن الأخطاء والخلافات، ويبدو أن الصحابة الكرام تعلموا هذا الدرس من رسول الله ﷺ.

سب رجلٌ أبا بكر الصديق - رضي الله عنه -، فقال أبو بكر: «سبّك يدخل معك قبرك ولن يدخل قبري».

إننا إذا فتحنا سجل المشكلات وديوان الأزمات، ودفتر العداوات، فسوف نحكم على أنفسنا بالإعدام.. انغمس في عمل مثمر مفيد يشغلك عن الترهات والسفاهات والحماقات.

إذا رفع سفيه صوته بشتمك فقل له: سلام عليكم ما عندنا وقت.

إذا نقل لك تافه كلامًا قبيحًا عن عدو، فقل له: سلام عليكم ما سمعنا شيئًا.

إذا تذكرت أنه ينقصك مال أو عندك أزمة أو عليك دين فتذكر النعم العظيمة والكنوز الكبيرة التي عندك من فضل الله، مِن سمعٍ وبصر وفؤاد وعافية وستر وأمن ودين وذرية ووطن..

«د/عائض القرني».

تذكر قول أبي الطيب المتنبي:

«لو كل كلب عوى ألقمته حجراً   لأصبح الصخر مثقالا بدينار»

"ومضة"

التطنيش فن راقٍ لا يتقنه إلا محترفو السعادة!!

السند

هذه الكلمة بمجرد ذكرها تشعرك بالراحة والطمأنينة، أن تشعر أن لك ظهراً وسندًا، أن تشعر أن أحدًا يشاركك اهتماماتك وتفاصيلك صغيرها وكبيرها، شخص تلجأ إليه بعد الله ليربت على كتفك ويقول لك: أنا معك لن أتركك.

قابلت أناسا كثيرين يزيد عمرهم عن الخمسين عاما، وما زال يذكر لي أن طوال حياة أبيه كان يحس أن له ظهراً وسندًا، لم يشعر بقصمة الظهر إلا بعد وفاة والده.

كلنا متفقون - بلا شك - على أن السند الحقيقي هو الله - ﷻ-، الله هو السند الوحيد الذي لا يخذلك

وحده - سبحانه وتعالى- من يبعث الأُنس للأرواح المبعثرة

وحده الله من ينزل السكينة على القلوب الملتهبة

وحده الله من يلملم شعث القلوب الحائرة

وحده سبحانه من يُسدل ستار الطمأنينة على الأنفس

وحده من ينير لك ما أظلم في فوضى الحياة.

لكن - سبحانه وتعالى- سبّب الأسباب، فجعل لنا - أيضًا - أناسًا تنزل الدمعة بين أيديهم، تخور القوى بمجرد أن يربتوا على أكتافنا، نشحن النفس صبرا ورضا بمجرد كلمات حانية من أفواههم، يرسلون على شفاهنا بسمة حانية وتذكيرًا بالرضا بقضاء الله وقدره.

لعل أشهر سند من الناس أشار إليه القرآن الكريم هي أخت سيدنا موسى - عليه السلام- لم ينقل لنا القرآن الكريم اسمها ولا نعتها، ولم يأتِ لها ذكر إلا في مواضيع قليلة في القرآن الكريم:

﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾ [طه: ٤٠]

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾

[القصص: ١١] .

رغم صغر سنها كما تقول الروايات إلا أن دمها يحن إلى أخيها، وتسعى هنا وهناك.

الأخت هي الكتف عند الانهيار والسند عن التعب

الأخت أفضل صديق يمكن للمرء أن يحظى به طوال حياته

الأخت: اسم آخر للحب وقطعة من الأم والأب

الأخت: حب طاهر صادق ونقي، وبسمة بيضاء وشغب جميل.

الأخت: هدية إلهية رائعة.. اسألوا من فقدها واسألوا من لم يرزق بها.

الأخت: نعمة حنونة كريمة حتى لو على حساب نفسها، وحنانها كحنان الأم.

إذا كانوا يقولون في معظم الأحيان: الأخ سند لأخته، فأنا أقول: وسندها لأخيها لا يقل أهمية أبدًا، بل ربما سندها لأخيها أقوى.

الأخت كالمنزل الدافئ بعد العودة مرهقا من الحياة، كتفها هي العكاز الوحيد الذي لا يجعلك تشعر بأنك أعرج.

قرأت مرة وصفًا لأخ يتحدث عن أخته فقال:

لي أخت لو استبدلوها بخيرات الأرض قاطبة لا أبدلها.. هي أُنسي وسعدي.. هي جنتي في دنياي.. وعدتي لآخرتي.. هي لي كالورد بل أجمل، هي لي كالماء بل أنقى، هي لي كالعسل بل أحلى، هي الضوء الذي يوقظني للحياة.

قيل إن أحد الولاة قديمًا خيّر امرأة بين أن يسجن أخاها أو زوجها أو ولدها، وقعت في حيرة من تختار؟ أتختار زوجها رفيقها وحبيبها، أم تختار ولدها فلذة كبدها، أم تختار أخاها الذي تربت في كنفه؟ ساد الصمت ثم قالت: أختار أخي ألا يصاب بمكروه، تفاجأ الجميع وسألوها عن سر الاختيار؟ قالت: الزوج موجود والابن مولود والأخ مفقود.

وإذا كنا نتحدث عن السند فلن تجد مهما بحثت قدر جهدك عن سند أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، أعظم أمهات المؤمنين شأنا، وأعلاهن مقاما، وأعظمهن جهادا، وأولاهن دخولا إلى البيت النبوي الطاهر.

«أول من آمن برسول الله وصدقه، ألقى الله حبها في قلوب أبنائها المؤمنين، حبا لا يحده زمان ولا يحصره مكان، يسري في وجدان كل مسلم سار على هذه الأرض إلى أن يرثها الله ومن عليها؛ فهي المرأة العظيمة التي لا يكاد يجهلها أحد من المسلمين صغيرهم وكبيرهم، ذكرانهم وأنثاهم، عامتهم وخاصتهم.

لن أتكلم عن جوانب العظمة الكثيرة في حياة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها- فهي أكثر من أن تحصى، ولكن أتكلم عن أن الله تعالى هيأها لتكون السند الأول للنبي المختار -صلى الله عليه وسلم-.

كانت معه في الحصار الظالم، راضية محتسبة، ولم يصدر منها أي كلمة عتاب أو تأفف، بل ثبتت معه في المحنة، وبقيت إلى جواره، ورضيت أن تترك منزلها الفاخر وفراشها الوثير وتخرج حبيبة مع

حبيبها رسول الله بين جبلين، تعاني الحر والقر، تفترش الحصباء وتلتحف بالسماء وتكابد الجوع والفقر، وهي الغنية الحسيبة، والسيدة الشريفة.

صبرت على تطليق بناتها بعد أن أسلمن وكنّ تحت أيدٍ غير مسلمين مثل عتبة بن أبي لهب، وأبي العاص، فصبرت واحتسبت فعوضهن الله خيرًا.

واست رسول الله ﷺ بنفسها ومالها.

وقفت بجانبه في بداية الدعوة.

وإذا كنا تكلمنا عن الزوجة السند، فلن ننسى أبدًا الزوج السند أيضًا، السند الذي يمنحك الطاقة كلما ضعفت، يجمع شتاتك كلما أرهقت، يضحكك وقت همك، ويواسيك وقت حزنك، يجتاز معك العقبات وقت العثرات.

والنبي - ﷺ- كان نعم الزوج ونعم السند لنسائه، يجالسهن ويواسيهن، يحفظ لهن حقوقهن، يُقَبِّل زوجاته قبل خروجه من البيت، يراعي مشاعرهن، يواسيهن في حزنهن أو مرضهن، يمسح دموعهن بيده، بل يساعدهن في تدبير شؤون المنزل - أحيانًا - يساعد زوجته في ركوبها على الدابة كما فعل مع صفية رضي الله عنها.

كان سهلا هينا لينا في التعامل معهن، يُقرّ أهله على النظر إلى اللهو المباح، يسابق زوجته في الجري، يسامر زوجاته ويتبادل معهن أطراف الحديث.

لا أجد موقفًا أكثر أهمية في سند الرسول ﷺ لزوجته عائشة رضي الله عنها في حادث الإفك، لم يشك لحظة في براءتها وانتظر حكم الله عز وجل لا لشكٍّ فيها بل لبيان طهارتها للعالمين، كان في أشد حالاته همًّا وغمًّا ورغم ذلك لم يظلمها ولم يلمها أو يعاتبها، رغم أن بعض الصحابة أشار عليه ﷺ بمفارقتها وأن النساء غيرها كثيرات، إلا أنه تمسك بها، وشد من أزرها، وبقي على حبها، بل لما سُئل -ﷺ- عن أحب الناس إليه، قال: عائشة، قالوا: من الرجال؟ قال: أبوها.

يا أختي الكريمة وابنتي الغالية:

لا تبحثي عن الحب فقط، ابحثي عن السند، عن من يحنو مودةً ويدنو رحمة، عن ساتر العيوب، عن الأمان الذي لا يعقبه خوف، عن الدفء الذي لا يتبعه برد، ابحثي عمن تتخطون معه عتبات الحب إلى منزلة المودة والرحمة.

السند في الحياة كثير، وإياك ثم إياك أن تنسى سند الأب الذي يحمي أهله وأولاده، القدوة والقوة، من يبني لهم جسر الأمان ليسيروا عليه، هبة الله في الأرض.

الأب هو ظهر ابنه، وسند ابنته وجناحيها في الحياة، هو ضوء عينيها حين يخذلك الآخرون

لو سألوك عن الأب قل: صوته بالحياة يكفي عن ألف شعور.

إحدى الفتيات كانت تصف حب والدها قائلة:

"إنه يشعر بي أكثر من أي شخص، ويصف ألمي للطبيب قلبي":

قلبـــي أبـــي بـــل قـــدوتي بـــل قـــوتي بـــل مســـندي
وإذا ذكـــــرت خصـــــاله مـــــن أي فضـــــل أبتـــــدي
جمـــع الحنـــان كغيمـــة في قلبـــه العـــذب النـــدي
مـــن جـــاد لـــي مـــن دون حـــدٍّ مـــن بدايـــة مولـــدي
حســـبي نعيمًـــا في حيـــاتي أن هـــــذا والـــــدي

رسالة لكل فتاة:

قلب والدك لن يتكرر في أي رجل.. فهو معطف الحنان في ليالي العمر الباردة.

أخيرًا دعني أسوق لك سندًا آخر في الحياة ربما يغيب عن كثير منا، هذا السند القوى هو « **السمعة**»

السمعة الطيبة التي أشار إليها القرآن بقوله:

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢]

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠ ﴾ [مريم: ٥٠]

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور: ٢١]

هذه السمعة التي جعلت النبي -ﷺ- يقول لهما اذهبوا إلى الحبشة: «إن بالحبشة ملكا لا يظلم عنده أحد، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجا»

لقد سبقت سمعته سمعة ملك الحبشة إلى رسول الله -ﷺ- فنزلوا عنده في خير جوار إلى أن أذن الله ﷻ بالعودة، فالسمعة تسبق الشخص حتى في غيابه.

البعض ربما يسعى لتشويه صورتك؛ لأنه لم يستطع أن يحقق نجاحك، والبعض يحقد لأنه أضاع فرصته... وفي النهاية لا يبقى سوى السمعة الطيبة تكون خير سندٍ لك، فاجعل سمعتك التي تتردد

على الألسنة تذكرك بالخير، لأنه لا ينبغي من الإنسان إلا الذكرى الطيبة، اعتن بسمعتك جيدًا لأنها ستعيش أكثر منك، فهي حياة خالدة لا تفنى بموت صاحبها.

والشواهد كثيرة على حرص النبي ﷺ على السمعة الطيبة، منها: حين أشار بعضهم عليه بقتل المنافقين، قال: «لا حتى لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه».

ومضة

لا تصاحب من لا يفهمك.

لا تعاشر من لا يعرف قيمتك.

لا تنتظر من لا يجد الوقت لأجلك.

لا تبق مع من يتركك في منتصف الطريق.

لا تحب من لا يراك أهم وأجمل شيء في حياته.

لا تقبل بأقل مما تستحق.

التأقلم

يتعرض الكثيرون للفشل بسبب عدم التأقلم: "التكيف"، مع وضع جديد في حياته، طالب لم يتأقلم مع كلمة جديدة.

زوج أو زوجة لم يستطيعا التأقلم على الحياة الزوجية.

وظيفة جديدة لم يستطع الموظف أن يتأقلم معها.

طبعا ليس مطلوبا منك التأقلم مع أي شيء في الحياة، فهناك تأقلم محمود وهو ما ينفعك في دنياك وآخرتك، وهناك تأقلم مذموم وهو ما يخالف معتقداتك الصحيحة أو يعارض أصلا من دينك.

لكننا الآن بصدد الحديث عن التأقلم المحمود، الذي جعله الله ﷻ سبباً للنجاح وسير الحياة.

حتى مع نفسك التي بين جنبيك، هناك تجد التأقلم والتكيف مع طبيعة الحياة:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١]

لو قام الإنسان العادي بمجهود عضلي زائد عن عادته، تأقلم الجسد وزادت دقات قلب الإنسان وزاد تنفسه وأفرز كمية كبيرة من العرق، في حين إذا قام رياضي بنفس المجهود، فإن جسمه لا يتعرض لنفس التغيرات.

لو ارتفعت حرارة الإنسان تأقلم الجسد مباشرة ويطلب المساعدة.

في شهر رمضان نحس بالعطش في الأيام الأولى ثم يحدث التأقلم بمرور أيام معدودة حتى يزول هذا الإحساس تماما مع نهاية الشهر.

"لعل التأقلم حكمة من حكم الصيام تساعد الإنسان على أن يكون في لياقة صحية ونفسية ودينية تقربه من المولى - سبحانه وتعالى-"

"د. سعيد إبراهيم".

يقول داروين: "ليس أقوى الأفراد هو الذي يبقى... ولا أكثرهم ذكاء... بل أقدرهم على التأقلم مع التغيرات".

وبما أننا اتفقنا من البداية أن نعيش الحياة بعيون النبي - ﷺ- فتعالوا بنا نطوف في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام - ونرى كيف تأقلم حتى نجح ونجحت دعوته.

فكيف تأقلم النبي - ﷺ- في صلاته نحو بيت المقدس مع أنه كان يحب ويدعو أن يتوجه إلى الكعبة، ولعل في ذلك حكمة وهي: أن اتجاه النبي - ﷺ- إلى بيت المقدس في بداية الدعوة كان إشارة إلى أن هذا الدين لا تتعارض مع التشريعات السابقة، فإن الدين عند الله الإسلام، والأنبياء أخوة.

- كيف استطاع النبي - ﷺ- أن يتأقلم في المدينة رغم حبه لمكة حبًّا شديدًّا، لدرجة أنه عندما أُخرج منها، نظر إليها وقال: والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت، وبعدها دعا الله تعالى أن يحبب إليه المدينة كحبة مكة أو أشد، فتأقلم في المدينة وأحبها، وأحب أهلها،

وأحب الأنصار وأبناء الأنصار ودعا لهم، بل توفاه الله - عز وجل- بأرضها.

يا أكرم الخلق جئنا صوب ذكراك ... والقلب بالحب والإخلاص ناجاك

نهوى مدينتك الزهراء يدفعنا ... وجد وشوق وتحنان لرؤياك

كان اسمها يثرب من قبل هجرتكم ... فأصبحت طيبة من بعد لقياك

كانت كسائر بلدان الدنى فغدت ... من بعد هجرتكم تزهى بدنياك

قد أصبحت حرما لما سكنت بها ... وروضة من جنات الخلد تهواك [٦]

كيف استطاع الصحابة الكرام أن يتركوا ما كانوا عليه في الجاهلية ويتأقلموا على وضع الإسلام بأوامره ونواهيه.

كيف استطاع المسلمون الذين كانوا يشربون الخمر قبل تحريمها أن يتركوها فورا وقت أن نزل تحريمها بقوله له تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ ﴾ [المائدة: ٩٠]

---

٦ من شعر أ.د. أحمد عمر هاشم .

حتى تقول الرواية أن الخمر أريقت في شوارع المدينة.

كيف استطاعوا أن يتأقلموا ويتكيفوا للتعايش مع واقع الحياة؟!

أعود فأكرر:

التأقلم ليس هو التنازل..

التأقلم ليس هو إلغاء الذات.

التأقلم ليس هو المجاملة على حساب نفسك..

التأقلم ليس على شيء تكرهه.

فمن الصعب جدا أن تتأقلم مع وضع أنت لا تحبه، سواء دراسة أو عمل أو علاقة اجتماعية؛ لأنك وقتها ستنطفئ شيئا فشيئا..

ستجد نفسك تذوب مع دوامات الحياة، ستخسر فرصًا وحياة ربما تندم عليها لاحقا.

لكن التأقلم الذي نعنيه هو ما يعينك على إنجازاتك ونجاحاتك وتقدمك

أن نتقبل أقدار الله

أن تصبر ونتوكل على الله

وسبحان الله: ربنا - عز وجل - جعل لدينا دافعًا فطريًّا على التأقلم حتى في أسوأ الحالات، فربما يتأقلم الإنسان بعد وفاة عزيز عليه، بل يتأقلم ويعيش ويقبل الحياة بعد فقد أغلى الناس عنده: أمه، رغم تغير وجه الحياة بعد موتها.

التأقلم يا سادة: هو فن التعامل مع الحياة بجميع أشكالها:

- التأقلم مع الفقد.

- التأقلم مع المرض مع الأخذ بأسباب العلاج.

- التأقلم مع فوات فرصة ذهبية.

- التأقلم مع الطلاق والفراق.

- التأقلم مع الزواج مع عدم الاستسلام للإهانة وانتهاك الكرامة.
- التأقلم مع عدم الإنجاب، مع الأخذ بالأسباب.
- التأقلم بالعناية بمريض مزمن.

في النهاية:

من لم يقدر على أن يتأقلم مع الحياة، ويرضى بالأقدار، سيجد نفسه قد اختار تدمير نفسه، لأنه سيصبح ضد تيار الحياة.

"ومضة"

"التأقلم مع الحياة يدور على ثلاثة أمور":

- تنتصر: فتشكر.

- تبتلى: فتصبر.

- تسخط: فتندم.

فاختر لنفسك

سبعة أسباب للفشل

في صحيح مسلم من حديث سيدنا حذيفة بن اليمان – ﵁- قال: "كان الناس يسألون رسول الله - ﷺ- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني .....

معرفة الإنسان بالسلبيات أدعى أن يساعده على تجاوزها والتغلب عليها، وأنا دائمًا أؤمن أنه كثيرًا ما يكون الفشل هو بداية النجاح، فلو قرأت قصص الناجحين والذين حققوا أهدافهم، ستجد هنالك سببا للإخفاق كان موجودا، فالإخفاقات هي فرص للتعلم وتصحيح المسار.

"لم أفشل، لقد وجدت ١٠٠٠٠ طريقة لا تعمل"

"توماس أديسون" مخترع المصباح الكهربائي.

الفشل يمنحك فرصة للفهم، لتصبح أكثر حكمة وذكاء مما كنت عليه من قبل.

لو أردنا أن نأخذ نموذجًا لهذا المعنى لم نجد أكثر وضوحًا من

شخصية سيدنا سلمان الفارسي، ذلكم الصحابي الذي لقب ب "الباحث عن الحقيقة"، كيف مر بمراحلَ متعددة ليصبح بعد ذلك "سيدنا سلمان"، بل هو الذي أشار على النبي - ﷺ- بحفر الخندق.

ولو أردنا أن نأخذ مثالًا من سيرة رسول الله - ﷺ- على ذلكم المعنى، فلنأخذ غزوة أحد، خير مثال على التعلم من الأخطاء والنجاح بعدها، لقد عالج القرآن الكريم النفوس التي ضربها اليأس في "غزوة أحد" وسعى لترميمها، حتى لا تكون الهزيمة نفسية، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

لكن انظر إلى حال الصحابة بعد هذه الغزوة، وبعد نزول هذه الآيات: تبدل خوفهم أمنًا، وتبدل حزنهم فرحًا، وانقلب يأسهم أملًا واستبشارًا، وعادوا أقوى مما كانوا، وحققوا النجاحات حتى ساد الإسلام مشارق الأرض ومغاربها.

على أية حال: لن أطيل في ذكر النماذج، وتعالوا بنا نطوف حول أسباب الفشل لا لشيء إلا لاجتنابها وتحقيق عكسها.

أولًا: الكسل

هو سبب الفشل الأكبر، هو العائق الأول للتقدم والتطور، هو عكس مراد الله من خلق لعمارة الأرض والعمل فيها.

"الفراغ يولد الكسل ثم الخمول ثم الإحباط ثم الفشل ثم الندامة".

الكسل: ما أصاب أمة إلا أضعفها وأخرها ودمرها.

وما أصاب شعبًا إلا ضيعه وجهّله وأفشله.

وما أصاب فردًا إلا أسقمه وأخزاه وأذله.

الكسل: صفة المنافقين كما حكى القرآن الكريم

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢ ﴾

[النساء: ١٤٢]

الإسلام لا يعرف الكسل، بل يعرف

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ [الشرح: ٧-٨].

الإسلام دين العمل والمثابرة والسعي على النفس والأهل والأولاد.

لذلك استعاذ النبي - ﷺ- من الكسل، فقال:

"اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل".

"رواه البخاري ومسلم".

لذلك قالوا: "ثلاث تورث ثلاثا:

النشاط يورث الغنى، والكسل يورث الفقر، والشراهة تورث المرض".

وقالوا: "توجد في طريق العظمة خمسة موانع: الكسل، حب النساء، انحراف الصحبة، الاشتياق إلى الخطايا، والإعجاب بالنفس".

ثانيًا: الغضب والعصبية

الغضب يفضح طينة البشر، فالغضب منهك للقوى، مقلع، يصيبك بالتوتر، نيران تغلي في عروقك، لذلك قال أحد الحكماء لابنه وهو يعظه: "يا بني: إذا أردت أن تصاحب رجلًا فأغضبه، فإن أنصفك من نفسه فلا تدع صحبته، وإلا فاحذره".

وقيل لأعرابي: من الذكي؟ فقال:

هو الفطن المتغافل، يرى الأمور ولا يراها.

يرى حاسده ولا يهتم... يرى عدوه ولا يلتفت... يرى الفتنة فلا ينظر، فيبيت وقلبه نقى ونفسه راضية، فلا تَعَبَ، ولا فكر، ولا كدر ولا هم.

لذلك لما جاء أعرابي يأخذ وصية من رسول الله ﷺ قال له:

"لا تغضب".

"رواه البخاري".

ثالثًا: كثرة النوم

النوم آية من آيات الله -عز وجل-، جعله سببًا لنكمل الحياة، لنرتاح بعد نصب، لكنه كالملح، لا بد من قليلٍ منه في الطعام، لكن زيادته مضرة، فلكثرة النوم أضرار كثيرة، وما قسوة القلب إلا أحد نتائجها، وكذلك ضياع العمر، وفوات النجاح، بل قرأت مقالًا رائعا بعنوان:

"احذر.. كثرة النوم تزيد مخاطر الوفاة"

لجأ فيها صاحبها إلى دراسة حديثة توصلت إلى هذه النتيجة.

رابعا: الخوف

هو عدو أساسي للنجاح، الخوف من الخروج من منطقة الراحة، الخوف من مواجهة العالم، الخوف من مواجهة المشاكل والصعاب؛ كلها ألفاظ مُتقاربة لشيء يمنع من النجاح، يمنع من الحصول على تجربة جديدة مشروعة.

نجيب محفوظ له عبارة رائعة يقول فيها:

"الخوف لا يمنع من الموت، ولكنه يمنع من الحياة"

"أولاد حارتنا".

إن أكبر عائق يمنع النجاح هو الخوف من الفشل والإخفاق.

ربك - جل وعلا - أمرك بالأخذ بالأسباب والسعي، فأنت ما عليك إلا السعي للنجاح ولست مسؤولًا عن النتيجة، فالله ﷻ سيرضيك، سيمنحك، سيجبر بخاطرك، سيفتح لك الدنيا على مصراعيها، ستأتيك راغمة.

فلا تدع الخوف من السقوط يمنعك من الوصول إلى القمة، اسمح لنفسك بالتجربة، حاول، انهض، قم، شد من عزمك، اقتل الخوف الذي بداخلك، حلق مع أسراب الطيور، اثبت كأعظم الجبال ثباتا، توكل على ربك، تأسّ بنبيك، عش حياتك واستمتع بلحظاتها حلوها ومرها، لا تترك نفسك سجيناً في الخوف من شيء ما غالبا لن يحدث، خلقك الله حرًّا فانطلق طالما أنت في كنف الله

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]

هنا:

كل المخاوف تتبدد

وكل الأمنيات تتجدد

تنام خائفا فيوقظك على انفراج وانشراح صدر وطمأنينة قلب

دع الخالق يجبر كسر قلبك، فسبحان من يجبر كسرنا، ويؤمّن مخاوفنا، ويتودد إلينا.

خامسا: المماطلة والتسويف

هو إحدى العقبات التي تقودك للفشل، وتعوق تغيرك الإيجابي، وتمنعك من التقدم والنجاح، بل أشارت دراسة إلى أن الأشخاص الذين اعتادوا على التسويف والمماطلة أقل قدرة على الحصول على وظائف ثابتة، ويتقاضون رواتب منخفضة عن غيرهم.

التسويف مرض يقتل الإبداع ويقضي على الطموحات، فبعض الأشخاص تجده منذ عشرين سنة وهو ينوي أن يحفظ شيئا من القرآن، أو يقرأ كتابًا، أو يتعلم بعض المهارات، أو سيطوّر من نفسه، وإلى يومه هذا لم يحقق شيئًا من هذه الأهداف.

ركز على أهدافك، اعمل بجد، ضع أهدافًا قصيرة المدى وأخرى طويلة المدى، إذا عزمت على فعل خير أو هدف صالح فلا تؤجل، بادر بالأعمال الخيرة كما وصى نبيك - ﷺ -، اغتنم شبابك وقوتك ووقتك، لا تعجز ولا تجبن، رد المظالم ولا تسوفها، تب عن فعل حرام أنت أدرى به، فمن القوة ألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد - كما قال سيدنا عمر - تذكر: التسويف هو ذلك الشيء الماكر الذي يجعلك تظل كما كنت بالأمس.

سادسًا: عدم القراءة

الكتاب ما هو إلا وعاء من نور يُقذف في صدر من يقرؤه، القراءة تصنع الإنسان الناجح، القراءة تميزك عن الآخرين في فكرك وسلوكك وعلاقاتك، نستطيع أن نقول إن القراءة وحدها لا تضمن النجاح، لكن من المؤكد أن عدم القراءة يضمن الفشل، القراءة هي مفتاح ارتقاء الشعوب، وأساس نهضة الأمم.

لذلك لا غرو أن كانت أولى الآيات نزولا على قلب النبي - ﷺ- هي: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق: ١]

اقرأ يا رسول الله وتدبر فيما خلقه الله، تعّرف على أسراره

اقرأ في الشمس وضحاها والقمر إذا تلاها

اقرأ عظمة ربك في الجبال وأوتادها، والتلال وسهولها، والنجوم وأفلاكها

اقرأ فيما غاب وحضر، وما خفي وظهر، فالقراءة ستجعل بين يديك منظارًا على العالم.

عندما تبحث في سيرة الناجحين ستجد أن هناك كتابًا غيّر حياتهم وأخذ بأيديهم، لذلك يقرأ الفرد في الغرب بمتوسط أكبر بكثير من القارئ العربي، رغم أن عندنا أصل العلوم وأروع المؤلفين، فالكتب هي ثروة العالم المخزونة وأفضل إرث للأجيال والأمم، لأن الكتاب هو النور الذي يرشد إلى الحضارة.

القراءة جسر ينقلنا من البؤس إلى الأمل، ومن الجهل إلى المعرفة، ومن الفشل إلى النجاح، وتضيف إلى حياتك حيوات أخرى، وإلى عقلك عقولًا أخرى، وإلى خبراتك خبرات أخرى.

بيل جيتس يقرأ ٥٠ كتابًا في السنة، بما يعادل كتابًا كل أسبوع.

وارين بافيت (الثري المعروف) يعلن أنه يقضي معظم وقته في القراءة والتفكير. وغيرهما كثير.

وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]

سابعًا: عدم وضوح الهدف

كتابة الأهداف ووضوحها خطوتك الأولى لطريق النجاح، وانعدامها اللبنة الأولى للفشل، وإن كنت لا تعرف هدفك فستصل إلى طريق آخر.

وضوح الهدف يجعل الأسباب المساعدة تظهر لك، والأسباب العائقة تتراجع عنك.

قرأت عبارة جميلة في هذا الصدد تقول:

"ينشغل الفاشلون بالمشاكل والعقبات، في حين ينشغل الناجحون بتحقيق الهدف النهائي".

لذلك نجد النبي - ﷺ- كان واضحًا في أهدافه، عينه على تبليغ رسالة الله، إصرار وعزيمة لهذا الهدف:

هدفه تبليغ رسالة الله إلى العالمين.

هدفه إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم.

هدفه تكريم الإنسان ذكرًا وأنثى.

هدفه إشاعة الأخلاق والحب بين الناس.

فصدق فيه قول الله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

"ومضة"

"ليس العيب في أن تسقط، ولكن العيب أن لا تستطيع النهوض".

فن الانسحاب

ليس كل انسحاب ضعف أو خسارة، بل هو أحيانا ذكاء وقوة، تخطي ما يعكر صفو حياتك، ويقلق تفكيرك، أعده إلهامًا من الله وحكمة يحسد عليها صاحبها، ولا يوفق لها إلا الإنسان الذكي الذي امتلأ قلبه بخبرات الحياة.

وكما قيل: علاقتنا مع الناس.

تدوم وتستمر.. بالتغاضي

وتزداد انسجامًا.. بالتراضي

وتمرض.. بالتدقيق

وتنتهي وتموت.. بالتحقيق

إقصاء الفوضى من شتى أمور حياتك أكثر راحة، وأهدى للبال، وذكاء للعقل، وقوة في اتخاذ القرار.

"ولو أنك تنبهت إلى كل تلميح، وأنصتَّ لكل اعتراض، وأمسكت بكل يد عاتبة، وانخرطتَّ في كل حشد غاضب.. لم تعرف نفسك، اسْمُ بنفسك عن عبث العابثين، وتروَّ العقل الرزين، واسكت عن استهزاء المستهزئين لتجبو بنفسك، وكأنك تقول لنفسك: "أعلم كل شيء ولكن لا أسمح لأي شيء أن يعكر صفو حياتي".

تصف الكاتبة سمية المطوع الانسحاب بأنه أحيانًا فن وأخلاق، وتقول بإن الانسحاب ليس هزيمة أو ضعفًا، وإنما انسحاب إيجابي هادئ سريع لا يزعج أحدًا ولا يثير ضجة، انسحاب يقلل التوتر، ويمنحنا فرصة لمراجعة الأوراق، بالإضافة إلى أنه يَدعَم استمرار العلاقات مع الآخرين، وذلك رغبة منا في الحفاظ على ما نريد المحافظة عليه في هذا الحياة، تماما كما ينسحب "عود الثقاب" من منظومة أعواد الثقاب المشتعلة، انسحابه في اللحظة المناسبة قلل من حدة الاشتعال وأطفأ الطريق المحتمل، فقد انسلّ العود بهدوء للخلف تاركا وراءه فراغا ليتوقف عنده الشرر، وحفظ نفسه من الاحتراق، وحفظ الصف من الاشتعال، في شجاعة واضحة وقدرة

على اتخاذ القرار الإيجابي السريع، فقوة الفرد الحقيقة تقاس بقوة ذكائه ورجاحة عقله وحسن تصرفه.

أذكّرك بأننا اتفقنا أن نعيش الحياة بعيون النبي - ﷺ-، فهو الأسوة الحسنة، والسراج المنير لنا في الدنيا والآخرة، فتعالوا نتعرف من خلال سيرته: كيف استطاع النبي - ﷺ- في بعض المواقف أن يأخذ خطوة للوراء ليحقق إنجازات أكبر، ويحافظ على مصلحة الجميع.

في يوم من الأيام في السنة السادسة من الهجرة النبوية، أعلن رسول الله - ﷺ- أنه متوجه إلى مكة معتمراً، فتبعه جمع كبير، وساقوا الهدى أمامهم، فبلغه أن قريشًا جمعت العدة والعتاد لمحاربته ويصدوه عن البيت الحرام، وسار النبي - ﷺ- حتى بركت ناقته، فقال: حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها، وبدأت المفاوضات حتى توصلوا إلى كتابة صلح، مضمونه أن يعود الرسول والمسلمون معه عامهم هذا ويعتمروا العام القادم.. إلى آخر الشروط، وهنا بدأت القلوب تصل إلى حناجر الصحابة واستشاطوا غيظًا من

هذه الشروط الجائرة، حتى إنّ أبا بكر - رضي الله عنه- قال: يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت، لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدّنا عنه قاتلناه...

هنا تأتى حكمة النبي - ﷺ-، هنا تظهر الشجاعة، هنا ذكاء، هنا خبرة، هنا مراعاة للصالح العام، أمر النبي - عليه الصلاة والسلام- أصحابه أن ينحروا جزورهم وأن يخلعوا إحرامهم بعد عقد الصلح، ولكنهم تلكأوا في ذلك لأنهم قد منعوا من دخول مكة وأرادوا العمرة، ورأوا أن شروط البيعة مجحفة لهم.

وتأتى الخطوة الثانية من حكمة النبي - ﷺ- عند كتابة بنود ما تم الاتفاق عليه، فبينما سيدنا علي - رضي الله عنه- يكتب هذه البنود وأولها: باسمك اللهم: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو.. اعترض سهيل بن عمرو وقال: والله لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولكن اكتب. محمد بن عبد الله، فقال رسول الله - ﷺ- لسيدنا علي: امحها يا علي، واكتب محمد بن عبد الله.

يا ألله... أي رحمة أنت يا رسول الله... أي حكمة أنت يا رسول الله... أي تعب تحملت في سبيل الدعوة إلي الله..

هنا قال سيدنا علي: والله لا أمحها أبدًا يا رسول الله.. من هذا الذي يريد أن يمحو وصف رسالتك؟ من هذا الذي ما رأى النور في وجهك، والصدق في حديثك، وكأن حال سيدنا علي يقول لسهيل بن عمرو:

كيف اجترأت على خير الورى سفها قد بؤت بالخزي ظلاما وأفاكا

إن الرسول لنور الكون أجمعه لكن تعامت عن الأنوار عيناكا

"شعر: د/ أحمد عمر هاشم"

هنا قال - ﷺ-: هاتها يا علي، فمحاها بيده عليه الصلاة والسلام.

هنا أقف متأملًا في هذا الموقف العظيم لرسول الله - ﷺ-، أتدرون ماذا كانت نتيجة هذه الخطوة التي خطاها رسول الله للوراء وقتها؟!

نتج عنها أن سماها ربنا - عز وجل- في كتابه ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١** ﴾ [الفتح: ١] فلقد نزلت عليه أوائل سورة الفتح أثناء عودته من الصلح في الطريق بين مكة والمدينة.

أتدرون أن صلح الحديبية كان السبب الرئيس لفتح مكة؟!

أتدرون أن صلح الحديبية هذا كان سببًا في دخول أناس كثيرين إلى الإسلام منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، حتى يقول ابن هشام "إن رسول - ﷺ- خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف مقاتل".

أتدرون أن الهدنة أتاحت فرصة لرسول الله والمسلمين لمخاطبة الملوك والإمبراطوريات المجاورة للدولة الإسلامية لعرض الإسلام عليهم؟!

أتدرون أنها كانت نتيجة لإعادة ترتيب صفوف المسلمين؟!

أتدرون أنها أعطت للمسلمين قوة ومنعة؟!

وغير ذلك كثير، لم يكن أيٌّ من هذا ممكنا من دون صلح الحديبية.

لقد أعطى النبي - ﷺ- كفار مكة ما أرادوا نسبيًّا، لكنه استثمر المتاح له من الزمن والبنود في وثيقة الصلح، لينشط في

الدعوة والعطاء، حتى أذن الله تعالى له بالفتح المبين.

الانسحاب فن وموهبة وسرعة بديهة، ومقدرة عقلية رائعة، وجرأة في اتخاذ القرارات، فن ينبئ عن شخصية واثقة من نفسها، مُجيدة لقدراتها، متمكنة من موهبتها، شخصية تقرأ المشيء، وتتنبأ بالمستقبل ومآلات الأمور.. إنه بحق يشبه من يُجيدُ القفز من السفينة بسلام قبل أن يباغتها الغرق في أمواج الحياة المتلاطمة..

إن فن الانسحاب يتطلب عدم الالتفات إلى الخسائر الضئيلة التي قد تترتب على قرار الانسحاب.. ولكي تتقن هذا الفن فعليك أن تكون لك جلسات مستمرة هادئة مع نفسك، تطرح فيها جملة أسئلة تجيب عنها بنفسك بكل وضوح وتجرد، وتسعى لقراءة المستقبل، وهل فرص النجاح أكثر أم نقيضتها؟ وهل حققت الإشباع الذي يجلب لك استقرارًا حياتيًّا[٧] ؟

٧ فن الانسحاب – إبراهيم العقيلي

"ومضة"

الانسحاب جبن إلا في ثلاثة مواضع:

- الانسحاب من نقاش عقيم لا نتيجة له.

- الانسحاب من علاقة رديئة لا مستقبل لها.

- الانسحاب من مكان لا يعرف أهله قيمتك.

ابن الاصول... بنت الاصول

نسمع كثيرًا عن كلمة «أصول»، «ابن أصول»، «بنت الأصول»، وكأن كلمة الأصول ترمز إلى القواعد والنشأة والتربية، إلى جذور الرجل أو المرأة، إلى صاحب الوفاء، إلى الزوجة الصابرة على شغف الحياة، المكافحة مع زوجها.

في أثناء كتابتي لهذا الكلمات أجدني يخطر ببالي فجأةً سيدنا موسى -عليه السلام- في موقفه الذي خلده القرآن الكريم في سورة القصص:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ ﴾ [القصص: ٢٣-٢٤]

كان سيدنا موسى في أعلى درجات المروءة، وفي أعلى درجات الشهامة، وفي أعلى درجات حب الخير، وهو في هذه الحالة من الخوف والقلق، والتعب والجوع والعطش، فكبر عليه أن تقف امرأتان تذودان أغنامهما، تنتظران أن يرحل القوم لتسقيا أغنامهما، فعندئذ (قال ما خطبكما؟) وليس في اللغة كلها كلمة أشد اختصارًا، ولا أعظم أدبًا، ولا أكثر إيجازًا للقيل والقال من هذه الكلمة..

نستطيع أن نقول إن الأصول تجذرت في سيدنا موسى -عليه السلام- وكذلك في الفتاتين اللتين قالتا (لا نسقي حتى يصدر الرعاء) أي: ليس من شأننا مخالطة الرجال، فالمعروف هنا صادف أهله، لأن ابن الاصول أو بنت الاصول لن ينكر فضلك، ويبقى على عشرتك، ويحفظ جميلك.

ولذلك أشار النبي -ﷺ- إلى هذا المعنى في حديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، حيث قال: «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

وقال - ﷺ- عن قوم سيدنا سليمان - رضي الله عنه- «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»

«أخرجه البخاري ومسلم».

السيدة آمنة بنت وهب - أم النبي ﷺ- علمته أن يزور أخواله، أن يكرم أهله، أن يعطي من حرمه، أن يصل أرحامه، لأن الأصول كلها تجمعت في شخص رسول الله، بل نستطيع أن نقول بإنه من علّم الدنيا الأدب والأصول الصحيحة، فصدق فيه قول ربه - عز وجل-

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم: ٤].

لذلك تجد النصيحة من الأب والأم لابنهم أو ابنتهم المقبلة على الزواج أن يبحثوا عن ابن أصول أو بنت أصول، لأنها تصون العشرة، وتكتم سر زوجها وبيتها، وتصبر معه على شغف الحياة.

تعالوا بنا في هذه الأسطر نتعرف على صفات ابن الأصول، وكذلك صفات بنت الأصول.

أولًا: صفات ابن الأصول

١- هو من يصنع من المال جسرًا بينه وبين من يحب وأولهم أهله، وغيره يصنع من المال سدًّا بينه وبين من يحب وأولهم أهله.

«ابن الأصول: ماكينة صرف مجانية على طريق من لا سند له ولا ذرية»

٢- ابن الأصول: يتألم ولا يتكلم، ولا ينتقم لنفسه، لأنه يرى أن التألم فرصة للتعلم.

٣- ابن الأصول: تربية راقية، نفس زاكية، روح صافية، أخلاق عالية.

٤- ابن الأصول: لا يستصغر عطاء من هو أقل منه، ولو كان مثل الذر، ولا يفضح ولا يفصح عن معايب من حوله، بل طبعه: الستر، يتغافل باحتراف.

٥- ابن الأصول: حين يعطي ينسى العطاء، وحين يأخذ لا ينكر بل يحفظ ويصون المعروف، فلا هو بخيل، ولا هو ذليل.

٦- ابن الأصول: هين، لين، سهل، تقي، نقي، كما أخبر النبي - ﷺ- عن فضل الناس، ومن تحرم عليه النار.

«النقاء بداخله يمنعه أن يتوقع الخبث الذي بداخلهم».

٧- ابن الأصول: روحه راقية، وأصوله أسوار تضبط حياته.. يطلب بأدب، يمزح بذوق، يعتذر بصدق.. يختلف برفق.

٨- ابن الأصول: إنسان ليس معصومًا، يقع في الخطأ والمعصية ولكنه يتوب، ولا يجاهر أو يفاطر أو يدعو إلى ما وقع فيه.

٩- ابن الأصول: ليس ضعيفًا ولكنها تربية، لا يغتاب غائبًا، ولا يُجهز على ضعيف، ولا يتلاعب بمحتاج، ولا يخدع مضطرًا.. بل يكون في عون الناس.. يصبر ويتحمل، ولا يرد الإساءة بمثلها.

١٠- ابن الأصول: إذا زاد ما عنده تواضع وصغرت عنده نفسه، وغيره إذا زاد ما عنده تكبر وتعاظمت عنده نفسه.

١١- ابن الأصول يشم يده يشبع.. وغيره بمال الدنيا ما يقنع.

١٢- ابن الأصول: جابر للخواطر.. يرحم الصغير، ويوقر الكبير.

١٣- ابن الأصول: يرى حاجة الناس إليه مسؤولية وشرف ويعظمهم.. وغيره يرى حاجة الناس إليه رفاهية وترف ويذلهم.

١٤- ابن الأصول: لا يتكبر ولا يتعالى، لأنه تربى على أنه: ما وجد أحدٌ في نفسه كبرًا إلا من مهانة موجودة في نفسه.

١٥- ابن الأصول: لا يدخل في منافسة: انتصاره فيها مهانة وهزيمة.

١٦- ابن الأصول: محمدي الأخلاق.. صحابي الطباع.. عربي النخوة.

ثانيًا: صفات ابن الأصول

أما أنتِ يا بنت الأصول، فأوصافكِ أكثر من أن تحصى، هي رزقٌ ساقه الله إليكِ، هي دعوة أم، وحكمة أب، تحس معها أن الدنيا ما زالت بخير.

١- عيناها شبعانة، حتى لو كانت من بيتٍ متواضع، القليل يكفيها وتشكر، وغيرها: الكثير لا يكفيها وبالنعمة تكفر.

٢- تتحملك مهما ضاقت بك الدنيا وضاق بك الحال، وأعطت لك الدنيا ظهرها.

٣- لسانها عفيف: لا تتلفظ بما يعيبها، لأن أصلها يمنعها من التلفظ بالألفاظ النابية.

٤- في وقت غضبها: تقف بجانبك، تكون سندًا لك، لا تفشي سرك، ولا تنكر فضلك.

٥- مشاعرها تكفي الدنيا وما فيها: أم أو أخت أو زوجة..

٦- لا تستصغر عطاءً، ولا تفصح عن معائب.

٧- تعطي عطاء بلا حدود... عزتها في العطاء.. لكن احذر غضبها، فاتقِ شر الحليم إذا غضب.

٨- سهلة، عفوية، لا تعرف الخبث ولا الكره ولا الحقد، وربما هذا يجعلها تتعب في الحياة أكثر من غيرها.

٩- قوية إذا انسحبت، أنيقة إذا غضبت.

لن أوفيكِ حقكِ يا بنت الأصول مهما كتبت، فأنتِ زهرة جميلة في حديقة فناء، أنتِ بسمة رقيقة في ميادين الحياة، أنتِ أمل لكل يائس، وحياة لكل بائس.

"ومضة"

"من خسر أخلاقه لن يفيده جمال ملامحه"

رسالة حب وعتاب

لا أحد فينا ينكر فضل حفظ القرآن الكريم، فلقد جاءت نصوص كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين فضل حافظ القرآن، نستطيع أن نلخص فضله في الآتي:

١- إنه من أهل الله وخاصته.

٢- إن القرآن يرفع حافظه في الدنيا والآخرة.

٣- إن صاحب القرآن مغبوط في الدنيا والآخرة.

٤- إن له الأولوية في إمامة الناس في الصلاة.

٥- إن القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة.

٦- إنه يرتقي في منازل الجنة.

٧- إكرام الله لوالدي حافظ القرآن.

لكن سؤالي الآن: هل يكفي حفظ القرآن الكريم؟

بمعنى آخر: هل حفظ القرآن الكريم فقط هو المقصود والأولى أم أن المراد والمقصود هو الحفظ مع التدبر والفهم والعمل؟ وأرجو ألا يفهم من سؤالي التقليل من أهمية حفظ القرآن، فهو عمل جليل، ولكنني بحكم عملي وتخصصي وتحكيمي لكثير من المسابقات القرآنية لاحظت أمرًا عجيبًا، فرحت به وحزنت في الوقت نفسه.

إذ وجدت حفظة للقرآن الكريم كُثر، ليس حفظًا فقط بل حفظًا وصل إلى الإتقان في التفرقة بين المتشابهات القرآنية، إتقان في أحكام التلاوة، بل وصل الإتقان عند البعض أنه يحفظ الآية ويعزوها إلى سورتها ورقمها ورقم الصفحة.. سبحان الله شيء مفرح جدًّا، وهو آية من آيات الله ووعده بحفظ القرآن الكريم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩] شيء يدعو للفخر حقيقة ويبرهن على أن هذه الأمة سيظل الخير فيها إلى يوم القيامة.

لكن ما أحزنني هو أنني توجهت بسؤال لكثير من هؤلاء الحفظة المتقنين، وكلهم أبناؤنا وأفتخر بهم، وحقيقة السؤال لم يكن صعبًا إطلاقًا، بل كان عبارة عن معنى بعض الألفاظ في جزء عم، باعتباره أسهل الأجزاء من جهة، وباعتباره ما يُبدأ به الحفظ عادة

من جهة أخرى، كانت الأسئلة كالتالي:

- ما معنى (الله الصمد)؟

- ما معنى (لإيلاف قريش)؟

- ما معنى (كعصف مأكول)؟

- ما معنى (همزة لمزة)؟

وهكذا...

يا ألله.. صُدمت، لم يجب أحد!

قلت لنفسي: هذا ربما يكون واردًا عند صغار الحفظة، لكنني تفاجأت أن كبارهم من الحفظة - أيضًا - لا يعرفون.

معقول يكون مقصدنا من القرآن الكريم هو حفظه دون أن نفهم معانيه أو حتى نضع برامج لفهم المعنى مع الحفظ، برامج تتناسب مع الصغار، وأخرى مع الكبار، وبرامج أعلى لتعليم وتدبير القرآن.

معقول مثلا هناك من يشتري ماكينة فيحفظ كتالوجها ولا يعرف تشغيلها، والقرآن الكريم طبعًا أجلّ وأعظم من هذا المثال.

إن المقصود الأساس من إنزال القرآن الكريم هو أن نتلوه حق تلاوته ثم تدبره ثم العمل بما فيه، قال الله تعالى:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]

وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤]

بل أكاد أجزم أن النبي ﷺ لما قال «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»... -أخرجه أبو داود في سننه- كان مراده - عليه الصلاة والسلام - هو أن نفهم ما نقرأ، وأن نتدبر لنعمل، وأن نترك فرصة لتنزل الآيات على قلوبنا فتحقق السكينة والطمأنينة.

قال سيدنا عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: (كنا لا نتجاوز عشر آيات حتى نتعلمهن ونعمل بهن، ونعلمهن، ونعلم حلالهن وحرامهن، فأوتينا العلم والعمل).

لقد لخّص سيدنا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- ما أريد أن أقول في هذا الصدد.

أسوق إليكم مثالا آخر يوضح المراد، في قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ١٢١].

قال الإمام القرطبي - رَحِمَهُ اللَّهُ-:« يتلونه حق تلاوته: يتبعونه حق اتباعه، باتباع الأمر والنهي، فيحلّون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعلمون بما تضّمنه».

حق تلاوته: أن تقرأه قراءة حسنة، وتفهمه وتتدبره وتعمل به، وأن تسأل نفسك:

أين أنا من هذه الآية، هل أنا مطبّق لها؟ ما علاقتي بها؟ ماذا يريد ربي مني في هذه الآية

قال الحسن - رَحِمَهُ اللَّهُ-:« إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار».

أرأيتم انشغال الناس اليوم بالجوالات؟ في الصباح والمساء وقبل الصلاة وبعدها، وقبل النوم وبعده؟ كذلك كان حال السلف مع القرآن.

حدثني عن حفظ القرآن من يومك..

أخبرني عن عملك بآية من القرآن..

أسعدني بتدبرك لفهم مقصد سورة وآياته..

لله دّرك يا ابن مسعود - رضي الله عنه - قال:« لا تهزوا القرآن هزّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»

ويقول الحسن البصري -رحمه الله-:« تفقدوا الحلاوة في ثلاث: في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، فإن لم تجدوها فاعلم أن بابك مغلق».

وقال قتادة -رحمه الله-: «اعمروا به قلوبكم، واعمروا به بيوتكم، يعني القرآن».

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: «إذا أردت أن تعلم ما عندك وعند غيرك محبة الله، فانظر محبة القرآن من قلبك».

إنها ليست دعوة للقنوط أو التيئيس من حفظ القرآن، أو التقليل من حفظته، لا، إنها الغيرة على كتاب الله، إنني أطمح أن أرى جيلًا من الحفظة قد أخرجوا لنا كنوزا من الفهم والتدبير.

ما المانع أن يُضم إلى الحفظ الفهم والعمل؟

ما المانع لعمل برامج للصغار تدربهم على الفهم؟

رغم أنني لا أنكر أن هذا بدأ بالفعل عند البعض، ولكنني أطمع أن يكون هذا هو الأصل، ساعتها ستجد جيلًا يسر الناظرين، نافعا لنفسه ولأهله ودينه ووطنه، جيلًا تسعد به البشرية كلها، وعلى أيديهم تنتظر العزة والفخر.

ومضة

ولسوف تُزهر في حياتك جنة ما دمت للقرآن تسعى باذلا

ولسوف تهنأ بالثمار إذا دنت فاصبر وكن للعون دوما سائلا

حسبنا الله ونعم الوكيل

لعله خطر بذهنك الآن منذ أن قرأتَ هذا العنوان أنني أدعو على أحد ما، هل من المعقول أن تكون معرفتنا بهذا الذكر العظيم الوارد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أنه مجرد دعاء على شخص ما؟

إن عبارة «حسبي الله ونعم الوكيل» ليست مجرد كلمة تقال أو دعاء على شخص ما، إن معناها أعمق بكثير، إنها معتقد في القلب، وركن شديد تأوي به إلى الله، وملجأ آمن يحس بها من عاش معناها بقلبه ونطق بها لسانه، إنها افتقار إلى الله ولجوء إليه، إنها تفويض أمرك إلى الله واستغناء عما سواه، إنها كلمة التجاء تستشعر معها اسم الله «الحبيب»».

لذلك أمر الله تعالى نبيه - عليه الصلاة والسلام - عند إعراض الكافرين عن دعوته، والتولي عن تعاليمه؛ أن يقول هذا الذكر العظيم «حسبي الله ونعم الوكيل» فقال له:

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

فقل «حسبي الله» أي: يكفيني ربي، فلا ناصر إلا هو، ولا معين إلا هو، ولا يدفع الضر عني إلا هو.

وفي «حمراء الأسد» عقب غزوة أحد، خوّف بعض المنافقين أصحاب رسول الله - ﷺ- بأن أهل مكة جمعوا لهم الجموع التي لا تهزم، وأخذوا يثبطون عزائمهم، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانًا بوعد الله، وتمسكًا بالحق الذي هم عليه، فردوا على هؤلاء المنافقين بهذا الذكر العظيم، قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤]

تعالوا بنا نتعرف على ست فوائد مختصرة لهذا الذكر العظيم:

١- إنه يدفع السوء والأذى ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾ [آل عمران: ١٧٤]

٢- كسب رضا الرحمن -ﷻ- فالله يحب من يلجأ إليه، ويتضرع إليه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يطلب العون إلا منه، فيرضى الله تعالى عنه ويكرمه، ويمنّ عليه بلطفه ورحمته وعونه ومدده.

٣- إنها إنذار للظلم وتذكير له، فهذا الذكر يزلزل الظالمين، ويقصم المتكبرين، ويُرعب المتجبرين، فإنك وكلت الله تعالى في أمرك وفيمن ظلمك، فلينظر المظلوم الفرج من الله، ولينتظر الظالم عقاب الله، فإن القضية حينها في يد أحكم الحاكمين، وربّ المظلومين، ومن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

٤- إنها تكفي المهموم همه، وتزيل عن المغموم غمه، وتصرف عن المحزون حزنه، وتشرح الصدور، وتنير القلوب، وتعطي الأمل لليائسين والعزة والغلبة للمظلومين.

٥- حفظ الله ورعايته، ومن ثم السعادة في الدنيا والآخرة.

٦- إنها تأتي بالفرج وتيسير الأمور وتجلب الرزق بمشيئة الله.

فإن لقيت في الحياة من يرهبك ويرعبك، فردد هذا الذكر العظيم، فقد قالها من قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام، فحينما أحاط به الكافرون، وقيدوه وكتفوه وشدوا رباطه، هنا لا مدافع عنه إلا الله، ولا ناصر يقف معه، ولا حارس يذب عنه، عندما ألقوه في النار قال «حسبنا الله ونعم الوكيل» فكانت النار عليه بردًا وسلامًا.

«الروح المدثرة بجلال الحسبلة لا يصيبها الصقيع، ثمة من يسعى سعيا لإحراقك أو تجميدك، كي تظل تحترق بآلامك أو ترتعش من مخاوفك، ولكن مع «حسبنا الله ونعم الوكيل» ستتحول حياتك إلى دفء، وقلبك إلى اطمئنان، وإنك لتعجب ممن داهمه الخوف وسيطر عليه الجزع، وتملكه القلق، وكيف لا يفزع إلى الحسبلة، ويتخذها درعًا واقيًا له، ولو أنه قال: (حسبنا الله وكفى) لسمع الله مناجاته، فقد سمع الله من دعا واتجه إليه وارتجا، وما أجمل ما ختم به الشاطبي - رحمه الله- وقدوته إذ يقول:

فيا رب أنت الله حسبي وعدتي   عليك اعتمادي ضارعا متوكلا.

وعجبت لمن يتعدى على الناس ويظلمهم ويقهرهم، ويبطش بهم، وهو يسمع حسبلتهم ويسمع مناجاتهم ب (حسبنا الله ونعم الوكيل)، ألا يعلم أن هذا أمضى سلاح فتاك، وأن هذه الكلمة تخترق السبع الطباق ناصرة لقائلها. فهذا يزيد بن حكيم يقول «ما هِبت أحدًا قط هيبتي رجلًا ظلمته، وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله، يقول: (حسبي الله، الله بيني وبينك).

«حسبنا الله ونعم الوكيل» اجعلها في ذكرك، واجعلها منهج حياة، ترددها في صباحك ومسائك، عند الغروب والشروق، في الحال والترحال، بها تلوذ وتعتصم، هي سلاحك، قبل أي سلاح، وقوتك قبل كل قوة، وهي مصدرك إن شحت المصادر، ومفزعك إذا ادلهمت الخطوب، وذكرك عند حصول المرهوب أو رجاء المرغوب، وهي كفايتك فحسب وكفى بها من كفاية.

ومضة

لله سـلمتُ أمـرًا لسـت أعلمـه ... مـا لـي علـى حملـه لكـن سأرضاه

ربـاه لـولاك لا سـند ولا أحـد ... فأنـت حسـبي وحسـبي إنـك الله

سهام تصيد القلوب

ما أجمل أن تشعر أن هناك من يحبك من دون مصالح، يتمنى لك الخير لأنه يعترف أنك تستحقه، يعطيك دون منّ، يتحملك دون ضجر، يُرضيك دون كبر، قلبه لا يحمل لك إلا الخير، وعينه لا تريد إلا أن يراك سعيدًا، وأذنه لا تسمع عنك إلا كل ثناء.

محبة الناس نعمة من الله عليك لا تقدر بثمن، نعمة لا يعرف أسرارها إلا من نالها وعاشها وتذوق ثمرتها، ولا تستطيع أن تنال تلك المحبة ولو بأموال الدنيا، فقط هي بنعمة الله وجميل الأثر الذي تتركه، ونواياك الطيبة مع عباد الله، بحجم النوايا يرزق الله الناس المحبة، فصاحب النية الطيبة يقطن الروح دون استئذان، يعمرها لطفًا ومحبة، لأنه إنسان صادق في مشاعره، صادق في عطائه، حتى قيل: اصدق مع الله، فإذا صدقت عشت بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيك ما تحذره، ولطفه يرضيك ما يقدره.

هنا سنتكلم عن: كيف تكون محمود السيرة، جميل السريرة، محبوبًا من الناس، طيب الشعرة، عن طريق عشرة سهام تصيد بها القلوب، هذه السهام ما وضعت في مكان إلا وامتلأت القلوب حبا، وما وجّهت لأمر إلا أفلحت وأنجحت، وإذا أردت أن تجتمع عليك القلوب، وتتعلق بك الأفئدة فما عليك إلا أن تحسن التسديد مستعينا بالله ﷻ.

أولًا: الابتسامة

هي سهم تملك به القلوب، وهي مع ذلك عبادة وصدقة:

«فتبسمك في وجه أخيك صدقة».

وقال عبد الله بن الحارث: «ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ».

الابتسامة نصف البرِّ:

أبنيَّ إن البر شيء هين   وجه طليق ولسان لينُ

الابتسامة أسرع جواز سفر تدخل به إلى قلوب الآخرين.

الابتسامة لا تعرف غنيًا أو فقيرًا..

هي لغة يعرفها القليل؛ لكن قليل من يتحدث بها.

ابتسم.. فالابتسامة لا تعني أن الفرح يكسوك دائمًا... بل أنك راضٍ بكل ما قدره الله لك.

الابتسامة لا تشتري لك خبزًا.. لكنها تشتري لك أرواحًا.

هي عنوان لوحة جميلة ترتسم على محياك.. فلا تبخل بها على نفسك ولا على غيرك..

ابتسموا: فالابتسامة سنة نبيكم، ومن عِظمها وعظم أجرها خلد الله ذكرها في القرآن فقال:

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ [النمل: ١٩]

ابتسموا: لعل الابتسامة تعيد البريق الذي فقدناه ونحن نحمل همومًا لا تليق بنا.

ثانيا: البدء بالسلام

(السلام): اسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض ليفشو بين الناس.

وقد كان النبي ﷺ وهو أشرف الخلق يبدأ من لقبه بالسلام

فهذا سهم يصيد القلوب مباشرة

ويؤنس الوحيد

ويطمئن الخائف

ويبسط الوجه، وتجعله تعلوه البشاشة والرضا.

قال الحسن البصري -رحمه الله-: « المصافحة تزيد في المودة».

وقال -ﷺ-: « تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء».

ثالثًا: الهدية

لها تأثير عجيب في المحبة بين الناس، قال- ﷺ-:

« تهادوا تحابوا» .

فهي تزيل صفوة النفوس

وتقرب ما بين القلوب

وتؤكد المحبة

وتطيب خاطر الغني والفقير

وتساعد المحتاج دون أن يشعر بانكسار.

وقد ثبت عنه - ﷺ- أنه أهدى، وأُهدى إليه

وعلمنا- ﷺ- أن الهدية بمعناها لا بثمنها، ولذا قال:

«لو أُهدى إليّ ذراع أو كراع لقبلت».

رابعًا: طول الصمت وقلة الكلام إلا فيما ينفع

فإن الصمت هيبة ووقار، والكلام وقت الحاجة دون غيرها علامة كمال العقل، وقال - ﷺ -: «من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه».

عليك بطيب الكلام ورقة العبارة «فالكلمة الطيبة صدقة ولها تأثير عجيب في كسب القلوب والتأثير عليها».

والصمت له حِكم جليلة:

فهناك من يصمت حتى لا يحرج غيره...

وهناك من يصمت لأنه يتألم وكلامه سيزيده ألما..

وهناك من يعلم أن الكلام لن يفيد إذا تحدث..

وهناك من يصمت وقت غضبه حتى لا يخسر إنسانًا عزيزًا عليه.

ويبقى الصمت الأعظم: هو صمتك كي ترتقي بنفسك وأسلوبك.

واعلم أن أول شروط الهيبة: قلة الكلام.

خامساً: حسن الاستماع والإنصات وعدم مقاطعة الحديث

هو منهج نبينا - ﷺ- ومن اتصف بهذه الصفة أحبه الناس ووقروه.

قال عطاء - رحمه الله-:

«إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد».

وكما قيل: أول العلم: الصمت، والثاني: حسن الاستماع، والثالث: حفظه، والرابع: العمل به، والخامس: نشره.

وقال عبد الله بن المقفع - رحمه الله-:

«تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام».

سادساً: حسن السمت والمظهر، وجمال الشكل وطيب الرائحة.

قال - ﷺ -:

«إن الله جميل يحب الجمال».

قال أبو حاتم - رحمه الله -:

«والواجب على العاقل أن يكون حسن السمت، طويل الصمت، فإن ذلك من أخلاق الأنبياء، كما أن سوء السمت وترك الصمت من شيم الاشقياء»

(روضة العقلاء).

سابعاً:
بذل المعروف وقضاء حوائج الناس

وهو من أعظم السهام التي تصيد بها القلوب.

قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

بل إنه تملك به محبة الله ﷻ، قال – ﷺ –:

« أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم..»

ثامنًا:
إحسان الظن بالآخرين

فهو طريق مضمون لكسب القلوب، فلا تجعل عينك مرصدًا لحركاتهم وسكناتهم، فسوء الظن مرض يقتل علاقتك بالآخرين.

والبعض بسبب سوء الظن؛ كرهوا بعضهم، وقل لقاؤهم، وقطعوا أرحامهم، وظلموا من حولهم، وماتت مشاعرهم، وهُدمت علاقاتهم.

إياك أن تلتفت إلى سوء ظن البعض بك، يكفيك قول ربك:

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٢٥]

لا عليك إن جهلوا حالك، وأساؤوا فهمك، وحملوك ما ليس فيك، وألبسوك غير ثيابك؛ فالله يعلم كل شيء.. أصلح ما بينك وبين الله ثم امض مطمئنا.. فمعية الله تكفيك.

تاسعًا: بذل المال

فإنّ لكل قلب مفتاحا، والمال مفتاح لكثير من القلوب.

عاشرًا: المداراة

من أخلاق المؤمنين، ومن خِفض الجناح للناس، ومن أقوى أسباب الألفة، هو التلطف والبشاشة، والثناء على من أمامك، فالمداراة نصف العقل، ولا يقدر عليها إلا الكبار.

ومضة

لا تحاول الانتصار في كل الخلافات، فأحيانًا كسب القلوب أولى من كسب المواقف.

عبارات أعجبتني

- القلب القرآني قلب يكبر ويكبر ولكن من غير تجاعيد.. قلب ينطق ويرى ويسمع ويفيد.

- كل آية من آيات القرآن تدخل القلب.. تحرق شهوة، أو توقد شمعة، أو تجلي ظلمة.

- بعد أن يصنع القرآن العقول يمنحها وثيقة تأمين شامل، قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من قرأ القرآن لم يخرف.

وقال ابن عمير: أبقى الناس عقولا قراء القرآن.

- أحداث عظام وفتن ضخام، ومكر اللئام، وموت الكرام، وكثرة السهام، وحوادث الأيام: كل ذلك لا يضعفك إذا رزقك الله قلبًا خاشعًا يسقى بالقرآن.

- سورة الجن ٢٨ آية، منها ١٨ آية حكاية لكلام نفر من الجن، ذكر كلامهم في قرآن يتلى إلى يوم القيامة لأنهم استمعوا إلى القرآن بصدق فأسمع الله الدنيا كلامهم بحق.

- القرآن رحلة.. رحلة تبحث عن آية للعلاج.. رحلة تبحث عن آية للحياة.. رحلة تبحث عن آية للثبات.. رحلات البحث في آيات القرآن أمان في كل زمان ومكان.

- آيات القرآن تبكينا.. ليس وجعًا ولكن لأنها تلمس شيئًا استوطن أرواحنا منذ زمن.

- في حياة كل إنسان قصة مع آية من كتاب الله.. لا تعود الحياة بعدها كما كانت.. ستأتي.. فانتظرها أو اذهب إليها.. فمن يحيا بالقرآن يحييه القرآن.

- ثاني سورة في المصحف وأطول سورة في القرآن، والسورة الوحيدة التي ذكرت أركان الإسلام الخمسة، وفيها أعظم آية.. هذه السورة تسمى باسم رزق شاب كان بارا بوالديه.. البقرة.

- ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ ﴾ [المائدة: ٣١]

كم من غراب ظهر لنا ليعلمنا كيف نصحح أخطاءنا ولكننا تجاهلناه.. ومنا من ظهرت له طيور العالم ولم يتعلم.

- الكون قاعة للمحاضرات والدروس.. والسعيد من وعظ بغيره وتعلم.. قال عكرمة: ربما أسمع الكلمة من الرجل في السوق فتفتح لي سبعين بابا من العلم.

- المتدبر لقصص الأنبياء في القرآن يجد لكل نبي قصة مع الدعاء.. دعاء محاط بتوكل تام وأخذ عملي بالأسباب.. دعاء يكون معه النجاة والحياة.. فليكن لنا مع الدعاء قصة.

- البقاء ليس للأقوى.. البقاء للأقدر على التكيف.. وإلا لما انقرضت الديناصورات وبقيت الفئران.

- خمس وسائل لمواجهة التحديات من خلال سيرة النبي ﷺ: التوكل والاستعانة.. فقه التدرج والأولويات... الإبداع.. العمل الجماعي.. الإصرار والمداومة.

- عطاء الإنسان قوة سحرية تنبض في شرايين الحياة.

- ليست روعة الإنسان بما يملك.. بل بما يعطي ويمنح.. فالشمس كتلة من نار محرقة لكنها أعطت الكون أجمل ما عندها من دفء ونور.

- إن ذروة عطاء الله للعبد ليست السعادة؛ فالسعادة شعور مؤقت زائل، وإنما ذروة عطائه للعبد هو الرضا؛ فالله لم يقل لرسوله ولسوف يعطيك ربك فتسعد.. بل فترضى.. فاللهم ارزقنا الرضا.

فهرس